



اساطير فركونية

نقلها الى العربية
كمال الحناوى



۱۵۷ شارخ عبید - روض الفرج
تلیفون ۴۰۵۸۸ - ۴۰۸۱۴ - ۴۱۰۱۲ - ۴۵۳۴۶



لتحميل المزيد من الكتب تفضلوا

بزيارة موقعنا

www.books4arab.me

إهداء إلى مكتبة الإسكندرية
صاحب كمال الدين الماركا
ديسمبر ١٩٥٥

الكتاب الماسي
قصص عربية

أساطير فرعوننة

من تاريخنا القديم

نقلها إلى العربية
كمال الدين الحناوي

مقدمة

ظل الناس الى أمد قريب يظلمون الفراعنة والمصريين القدماء فيتهمونهم بعبادة الأصنام والحيوانات وما الى ذلك ، وليس أبعد عن الحقيقة من هذا الاتهام ، فقد كانت للمصريين عقيدة ثابتة وإيمان وطيد ، باله واحد قوى ، يحاسبهم على كل عمل أو قول خلال حياتهم الدنيا ، وهم يتوكلون على ذلك الاله فى كل صغيرة أو كبيرة فى حياتهم أو عملهم .

وقد كشف الحجاب عن بعض معتقداتهم فيما بعد الموت ، من الدراسة العميقة المضنية ، للنصوص المنقوشة على جدران المقابر والمعابد ، وأوراق البردى ، وأهم مصدر لهذه المعلومات ، هو كتاب الموتى ، فهو يصف رحلة الروح بعد الموت ، خلال العالم السفلى ، ويصف الصعاب والعقبات التى تعترضها خلال هذه الرحلة وكيف تغلب عليها ، وكانت نصوص هذا الكتاب تلغى مع الموتى لترشدتهم الى السبيل القويم ، لتخطى تلك العقبات ، والوصول مع اله الشمس « رع » الى العتمة الأخرى حيث حقول السلام .

وقد اكتظ كتاب الموتى بأسماء آلهة عديدة ، لاداعى أن نزعج القارئ بذكرها ، وتتحدث النصوص القديمة التى كتبت منذ ستة آلاف سنة ، عن خالق عظيم هو الأصل فى حياة كل شئ ، ولكن قصور العامة عن ادراك فكرة اله واحد ، يخلق كل هذا العالم ، جعل الكهنة يقرّبون الفكرة من أذهان الناس وذلك باتخاذ اله أو رب لكل شأن من شؤون الحياة ، وكل اله من هؤلاء يعمل لحسابه الخاص مستقلا عن الآخرين ، وقد نتج عن ذلك أن أصبح عدد الآلهة المصريين كبيرا ؟ لدرجة لا يمكن لأحد أن يلم بها ؟ حتى المصريين أنفسهم ؟

ولكن الكهنة ورجال الدين والمتقنين من المصريين كانوا يعلمون أن هذه الآلهة جميعا ليست الا رموزا تدل على قدرة الخالق العظيم ، وما هي الا مظاهر لقوته ، التي أوجدتهم ومنحتهم الحياة .

وأشهر هذه الآلهة جميعا اله الشمس « رع » الذى يظهر كل صباح على الأفق الشرقى ، بعد أن ينتصر على قوى الظلام ، ويبدأ رحلته اليومية في قاربه المسمى بقارب ملايين السنين ، وفي خلال رحلته يرعى عباداه ، ويرى ما يفعلون من خير أو شر ، ويمنحهم النور والحرارة منبع الحياة والقوة ، وفي المساء يمر خلف الجبل الغربى ، ثم يعوص في ظلمات العالم السفلى ، ثم يمضى على المجرى المربع متغلبا على جميع أعدائه ، حاملا معه أرواح الذين مثلوا أمام محكمة أوزيريس ووجدتهم من الأخيار ، وتنتهى رحلته عند الفجر فيخرج من العالم السفلى ليبدأ رحلته من جديد عبر السموات .

وقبل أن يعرف الناس الكتابة بزمان طويل كانت الصلوات تقام في المعابد للآلهة . ورغم ذلك فإن خاصة المصريين كانت تعتقد بوجود اله عظيم حكيم خالد ، لا يستطيع انسان أن يدرك كنهه ولكنه يراقب الناس ويستمع الى صلواتهم ودعائهم ، وفيما يلى جزء من ترنيمة كان الكهنة يترتلونها كل يوم في معبد آمون بطيبة : ومعانيها تعطى صورة واضحة عن العقيدة الصحيحة للمصريين القدماء :

الله واحد أحد ولا شريك له .

الله واحد وقد أبدع مخلوقاته وحده .

الله روح غامضة لا يراها الانسان ، خفية عن كل شئ .

الله روح الأرواح ، روح مصر المقدسة .

الله هو الله منذ البداية ، هو الله قبل أن يكون شئ .

هو سيد المخلوقات ، وأب الجميع ، هو الآله الدائم ...

الله هو الموجود الخالد الذى لا يفنى ، لا بداية له ولا نهاية .

الله لم تكن له بداية ، وليس له نهاية ، وسيظل كذلك على

الدوام ...

الله خفى ، لا يعرف انسان شكله ولاشبهه .

لا تعلم الآلهة مداه ولا الناس ...

الله هو الحق ، ويجيا على الحق ، انه الملك الحق .

الله هو الحياة ، ولا حياة للناس بدونه ، هو البداية ، هو الواحد

الأحد ...

هذه صورة من عقيدة المصريين القدماء ، العقيدة التى يعرفها رجال الدين والمتفكرون ، لا تلك الافكلر الساذجة التى تتلاءم مع عقلية الجماهير ، والتى اخترعها الكهنة لتقريب الدين الى عقل الشعب وقد جمعت هذه الأساطير من مصادر مختلفة موثوق بها وأشهر الاساطير المصرية القديمة ، أسطورة ايزيس وأوزيريس ، أو قصة الصراع بين الخير والشر ، وهى قصة خالدة باقية ، تكرر فى كل دين، وتتخلل كل عقيدة ، وان كانت قد بدأت من المصريين القدماء ، وسيجد القارئ مشابة كثيرة بين هذه الاساطير والقصص الذى جاء فى كتب الديانات المختلفة سماوية وأرضية .

وبعد ... لعل القارئ أن يجد متعة فى قراءة هذه الأساطير التى ابتكرتها مخيلة هذا الشعب العظيم ، ولعله أن يجد لها صدى فى نفسه كما وجدت لها صدى فى نفسى .

كمال الدين الحناوى

آخلاق از یسوی

هناك في جنوب الوادى ، وعلى شبة خصيبة من الأرض تحف
بمجرى النهر المقدس ، كانت تبغ مدينة طيبة ؟ ولا تزال أطلالها الى
اليوم ماثلة للعيون ، تنبىء عن أمجادها وعظمتها ، فقد كانت في زمانها
أروع مدن العالم .

ولكنها حين بدأت هذه القصة ، كانت لا تزال في مدارج طفولتها ،
فلم تكن معابدها الفخمة قد شيدت ، ولم تكن الآلهة معروفة لأهلها ،
فلم يكن آمون معروفا لهم ، ولم يكن في مقدورهم أن يدركوا من هو
« رع » ذو الجلال .. لم تكن آلهتهم في ذلك الحين تعدو التماثيل
من خشب أو من حجر ، وكانوا يقدسون الشمس منبع الحياة ، والنهر
الأزلى الخالد : النيل ...

وقد أبتنوا لآلهتهم هذه معبدا على بقعة مقدسة من لأرض
يمدون فيها ويقدسونها ، كان ذلك المعبد حسن البناء ، متلفعا بخميلة
من الأشجار ذات الظلال .. وكانت تنفجر عند أقدم درجة عين تية
الماء رقاقتها ، ألف الناس غذوبتها وصفاء رشاشها المتناثر ، فاعتقدوا
أن الآلهة قد باركتها جزاء ما يقدمون لها من فروض التقديس والتعظيم
وفي صبيحة محرورة من صبايح الصيف ، كان أحد السقائين يجر
قدميه الى تلك العين وقد تدلت على ظهره قرية من جلد الماعز ، كان
شابا فتيا ، ولكن ظهره قد افضى لكثرة ماتطامل على نفسه وهو ينوء
بحمل هذه القرية من جلد الماعز تكاد تنتفض امتلاء ...

والتقى به سقاء آخر تتدلى من كتفه قرية الفارغة ، وقد أدار
ظهره الى العين وكر راجعا الى البلدة ، فلما التقى بسقائها الفتى سأله :

— ولم العمل في هذه الساعة ... ؟

— بل قل ولم العمل على الإطلاق ؟...

— انك محق يا صاحبي ولكن الحاجة تدفعنا الى ذلك ، ولولاها
لكان كلاتا مطمئنا في كوخه ، ومع ذلك فلن يلومنا أحد اذا استرحنا
فان القبط يكاد يصهر الرمال . ممالك اليوم كتيب النفس ؟...

— لست أحس ذلك . ولكن لا بد للانسان من أن يأكل ، ولن
يستطيع ذلك حتى يعمل ...

ان ورائي كثيرين لا بد من اطعامهم ، وأبي الشيخ مريض ، وعلى
عشمتهم جميعا ... !!

— حسنا ... اما أنا فلن أعمل قبل حلول المساء حتى يلطف
الجو .

وانصرف السقاء الآخر الى كوخه حتى يحل المساء ، أما باميليس
فقد تابع زميله بنظره وهو يتعد ، وأحس بالمرارة تمض قلبه لهذا
الحظ العائر الذي يكبله كثيرا ... وعندئذ تذكر تلك الأفواه
الجماعة تنتظر عودته في الكوخ ، وأدار سقاؤنا القتي وجهه نحو
العين ، وانطلق في طريقه لا يلوى على شيء .

وخيل له حين ملاقته من ماء العين أنه سمع نداء باسمه ،
فأدار بصره فيما حوله ولكنه لم ير أحدا ...

— باميليس ...

رن النداء في أذنيه واضحا جليا فلم يعد هناك مجال للشك في
هذه المرة ، ونظر أمامه ، وأخذ يرفع القربة المملئة على ظهره المنحني
وقد جحظت عيناه الى الدرج المؤدى الى المبد .

— باميليس ...

انطلق الصوت للمرة الثالثة فألقى السقاء المسكين — دون أن
يحس بما فعل — ألقى بالقربة على الأرض ، واستحال ماتحت قدميه
الى بركة صغيرة .

سمع ياميليس هذه العبارة وخيل لحواسه المبهورة أن الصوت
ينبعث من التمثال القائم أمام المعبد .

— لانتخف ... ولكن انطلق الى البلدة ، وبشر الناس بمولد
أوزيريس سيد الأرضين ثم أعلن هذه البشرى للناس في طول البلاد
وعرضها .

وتلاشى الصوت .. وفي اللحظة نفسها انطلق ياميليس كالمجنون
لايلوى على شيء وقد ألماه الخوف عن قرينه تلك ، المصنوعة من
جلد الماعز ، ولم يتوقف حتى وصل الى كوخه المجدول من الغاب
على شاطئ النهر .

وقص السقاء الفتى قصته على زوجته فظنت به خبالا ...
وحسبت شدة القبط قد أثرت على رأسه ، فاضطرب ذهنه ، ونصحته
ساخرة أن يعود أدراجه الى العين ليسترد قرينه فقد بشر بها عابر
سبيل فيلتقطها ، أما أبوه الشيخ ، فقد سمع طرفا من القصة وهو
مستلق على فراشه في أقصى الكوخ ، وقد أغمض عينيه الذابلتين ،
ودعا اليه ولده ومأله أن يعيد القصة على مسمعه ...

ولما انتهى ياميليس من قصته قال الشيخ في صوت مرتعش :

— انه لصوت السماء يا بني ... فاذهب وأعلن البشرى كما
أمرت ... أما أنا ... فكم كان يسعدني أن أعيش حتى اسمع هذه
للأنباء السارة ... باركك الآلهة يا بني ... !

وأدار الشيخ المحتضر وجهه الى الحائط ولفظ آخر أنفاسه .

وعندئذ انطلق ياميليس صادعا بما أمر ... وهكذا أعلنت
البشرى بمولد أوزيريس .

وذات أصيل في مطلع الصيف ، والشمس معلقة في الأفق فوق
الهضاب ، وقد سبحت في بحر من القرمز والأرجوان والذهب ، وقف
رجل ضخم البناء فارغ الطول ؛ في ظل شجرة الحور القريبة من
المعبد ، كان متناسق الأعضاء ، مهيب الطلعة ، يبدو أكثر من الفنانين
من البشر ، فقد كانت تلوح عليه سمات الخلود ...
وكانت تقف الى جانبه امرأة لم تشرق الشمس على أجمل منها :
وجهه حلو رقيق ، وبشرة خمرية مشرقة السمرة ، وشعر كستنائي غدير
يسدل حتى عقيها فيبدو تحت أشعة الشمس الواهنة ، وكأنه أسلاك
دقاق من النحاس الأحمر ...

وعندما غاص قرص الشمس وراء الأفق الغربي ، انسبكت
على التلال الداكنة حلة من الأرجوان الصافي ، وارتسمت على صفحة
النهر أطراف حمر كالسنة اللهب ، وعندئذ تحولت المرأة الجميلة الى
الرجل الخالد ، واتجهت الى الشمس الغاربة في ضراعة وخشوع ،
وامتغرقت في صلاة قصيرة « لرع » آله الشمس .

ولما انتهيا من صلاتهما ، فرش الرجل عباءته على الصخر ،
ودعاها للجلوس ليستريحا ، وجلسا وأخرج من جيب ردائه نارا أخذ
ينفخ فيه ، فتبعت منه أنفاس مقدسة ، لا يمكن أن تكون من صنع
الأرض ، انها أنفاس من السماء ... انها لترق حتى لكأنها خفيف
الأجنحة بين الفصوص ، وتصفو حتى كأنها نداء طيور البحر تدعو
رفاقها ، وتمنف حتى تصبح كهدير الشلال حين ينحدر من أعلى
الجبل ، ثم ترق فتصبح كخرير الجدول يتلوى على الحصباء في
مجراه ... ثم ينتهي اللحن بصوت أجش غليظ يشبه صوت الجوقة
في تناسقه وانتظامه .

وأخذت السيدة الجميلة تترنم بأغنية عامرة بالحنان ، تصحبها في الغناء نغمات الناي ، كان غناؤها رقيقا هادئا ، كان يعبر عن السرور والحزن معا ، وتلمس في نبراته الصفاء والاقباض على السواء ، وينتقل بك من هبوب العاصفة العاتية الى شروق الشمس الناعم ، وكان الى ذلك يعبر عن الحب اللانهائي الأصيل ...

وبينما تلك الأنعام آخذة في التلاشي ، اذا بشيخ وقور ، شاحب الوجه ، متشح بعباءة بيضاء ، متمنطق بحزام من ذهب ، يقبل على عابري السبيل هذين ، وقال الشيخ وقد ارتسم على وجهه المتغضن مزيج من الاحترام والخوف والعجب ...

— طلب مساؤكما ...

— ومساؤك يا أبتاه ... هل تستطيع أن تدلنا على مأوى في هذه الناحية ؟ انا منواصل الرحيل ولكن يسرفا أن نستريح هنا بعض الوقت .

وصمت الشيخ قليلا ولكنه أخذ يحدق فيهما بعينه محاولا أن يستشف أفكارهما ، وأن ينفذ الى دخائلهما ، ولم يلبث أن جثا على الأرض وأكب برأسه على نعلي الرجل والمرأة يقبلهما واحدا بعد الآخر ثم رفع رأسه قائلا :

— اننى كاهن هذا المبدد القريب ، وقد أحطت ببعض أسرار السماء ، وقد نبئت منذ أمد طويل بأنكما قادمان ، ولكننى لم أكن أتصور يوما أن أكون أول من يحييكما على الأرض ...

وبمينين فيهما ولاء واكبار ، أخذ الرجل المقدس يشبع نظره من الغريبين ثم سألهما :

— هل لمولاي ومولاتي أن يتنازلا ويقبلا الضيافة في منزلي.

الفقير ؟

وأجابه الرجل ...

— اننا أقبلنا عليك أولاً لأنك مخلص في خدمتك ، صادق في
إيمانك ، واقنا لتقبل كرمك بالشكر ، ولكنني أستحلفك ألا تحدث
أحدًا بما تعلم من أمرنا ، فإن علم ذلك رهن بمشيئة السماء ...

وقال الراهب الشيخ وهو يجثو حتى لتكاد جبهته تمس التراب
— ان عبدك يسمع فيطيع ...

— قدنا اذن إلى دارك ... تعالى يا ايزيس ولنصحب الشيخ
فان الوقت قد تأخر ...

وقالت ايزيس وهي تتأبط ذراع الرجل :

— لتصحبك بركات رع أينما ذهبت با أبتاه ...

ثم سارا قدما ... وهكذا ظهر أوزيريس وزوجته ايزيس في
أرض مصر ...

أخذ أوزيريس وايزيس يترددان كل يوم على البلدة الرابضة في ظلال المعبد العتيق ، ولم تكن القصور الفخمة التي تشاهد أطلالها ، ولا المعابد الضخمة التي فري بقاياها ، ولا طرق الكباش التي اشتهرت بها طيبة ، لم يكن ذلك كله قد عرف بعد ، فقد كان لا يزال في ضمير الغيب ، أما قصر الملك ودور النبلاء فقد بنيت من الحجر ، وبقيّة الدور أقيمت على دعائم من خشب ، أو بُنيت من الطوب والطين .

وكان الناس يتركون أعمالهم عندما يمر بهم الغريبان وينظرون اليهما وهم مأخوذون بروعتهما ، فلم يسبق لهم أن رأوا رجلا في هذا الجلال والتبل ، ولم يروا من قبل امرأة بهذه العلاوة والرشاقة محبة الى جميع القلوب ، وحتى ملكهم وملكتهما كانا لا يذكران اذا ما قورنا بهذين المخلوقين من أشباه الآلهة .. وكأنهم أحصوا بغيرتهم أن الغريبن ليسا من أبناء هذه الأرض ، فتأملوهما بمظاهر الاجلال والاحترام ...

ولملك أدركت أسئلة لاحصر لها كانت تدور في منزل الكاهن عن الضيفين اللذين حلا به ، ولكن الكاهن العظيم احتفظ بالسر لنفسه ، وضمن به حتى على أهله ، فلم يعلموا أكثر مما علم الناس وكانوا يجيبون كل سائل قائلين « انهما عابرا سبيل ، ولقد لقيتهما آنى الكاهن في ظل أشجار المعبد ، فسألاه أن يضيفهما فترة ، وهذا كل ما تعلمه ... أما بأي طريقة جاء ولم أقبل .. ؟ فلم يكن الناس يلقون عن هذا كله جوابا ، وكان الغموض الذي أحاط بمقدمتهما يزيدهما رهبة ويزيد الناس خشية لهما ، وقد تأصلت هذه الخشية في نفوس الناس على مر الأيام وتحولت الى تقديس مشوب بالخوف .

وأخذ أوزيريس وايزيس يختلطان بالناس ، ينصحان هذا ،

ويسعدان ذاك ، وشجعان آخر ، وحيثما كانت الحاجة ماسة اليهما
وجدتهم مائلين ، فلم تكن هناك يد تطف من حرارة الحمى أرق من
يد ايزيس ... ولم يكن أحب من صوتها الحنون الى الطفل المريض
العاني ، وكان مما يلفت النظر ويسترعى الانتباه أن المرض كان يزائل
كل من تلمسه .

و ذات يوم سقطت كتلة من الخشب على طفل صغير ، وبينما
أمه حائرة لاتجد سبيلا لتخفيف الألم عن طفلها الصغير ، اذا بالسيدة
النامضة الى جوارها ... وتناولت ايزيس الطفل بين ذراعيها في
رقة ، وكأنا مسه السحر ، فافترجت أسارير الوجه المتقبض ،
وسكنت الأوصال التي كانت تتلوى ، ثم مرت بأناملها على جبهته ،
ثم مسحت بها على صدره وقلبه ، وبإلحاح ... ان عينيه تتفتحان
في ببطء ... وان شفقيه لتفتران عن ابتسامة حلوة ... وأخذ الطفل
ينقل بصره في دهشة بين أمه وبين ايزيس ، ثم صاح فجأة « أماه ...
أماه ... اتنى ذاهب مع السيدة الجميلة ... انها تنادينى يا أماه ...
اتنى ذاهب الى مكان جليل ، ولن أحس ألما بعد الآن ... » .

ومات الطفل في المساء ، ولكنه لم يتألم مرة أخرى ... أما أمه
الشكلي فقد أدركت ... ثم صمت ... !!

وكان أوزيريس بدوره مشغولا على الدوام ، كان عمله في
الحقول أكثر منه بين دور البلدة ، فقد علم الناس صنع المحارث ،
وابتكر لهم طريقة يرفعون بها الماء من النهر المنخفض الى الأرض
المرتفعة العطشى ، بدلا من حملها على ظهورهم كما كانوا يفعلون ،
ثم علمهم بعد ذلك كيف يسهلون العمل على أنفسهم ، وكيف يسهلون
من الأرض التي فيها يكبحون .

وفي الأمسيات الرطبة كان يجلس ومن حوله زحام من الريفيين
صفارا وكبارا ، وكلهم قاعز فاه من الدهشة ، بينما أوزيريس يوقع
على نايه بعض ألحانه العلوية الخالدة ، وقد علم بعضهم التوقيع على

النأى ، وكون منهم جوقة موسيقية ، كثيرا ما عزفت ألحانها فى ضوء القمر المنسكب ، وكانت رعيته البسيطة الساذجة لا تتركه يعود الى دأره حتى يرقل تريمة حبيلة الى النفوس ، فهى تتحدث عن الأرض والساء ... والحياة والموت ... وتتناول كثيرا من الأشياء وراء مداركهم ومعرفتهم .

ولم يمض وقت طويل حتى سمع الملك بأمر الغريبن ، وبما يدور حولهما من أقاويل تشبه المعجزات ، فأرسل فى طلب أوزيريس ، فلما مثل بين يديه دار بينهما حديث بدأه الملك قائلا :

— من تكون أيها الرجل ؟ ومن أين أقبلت ؟

— اتى رجل أسفار وأخو رحلات ، وقد سمعت كثيرا عن أرض مصر وعن أهلها ، فرغبت فى رؤيتها ، وقد جئت من أرض آلو وسأطل هنا فترة قصيرة ثم أرتحل ثانية الى هناك .

— وأين تقع هذه الأرض التى ذكرت ؟ لقد سارت جيوشى شمالا وجنوبا ، شرقا وغربا ، ولكننى لم أسمع بهذا الاسم من قبل .. ؟

— انها تقع الى الغرب البعيد ، وراء أبعد الحدود التى يصل اليها الانسان .

— وكيف جئت اذن ؟ ما دمت قد استطعت المجئ الى هنا ، فأتى أستطيع الذهاب الى هناك ؟ صف لى الطريق الى هذه الأرض الجديدة فاتنى أحب أن أراها ...

— هنا لن تستطيع ولن يستطيعه انسان ؟ فانها بعيدة جدا ..

— انك لن تعود الى بلدك اذن أبدا ! ... ؟

— مادمت حيا ... سأواصل الرحيل ولكننى لا أتوقع أن أصل اليها مابقيت لى الحياة ...

— دعنا من هذا اذن ... ؟ لقد سمعت الكثير عن قدرتك

وحسن تدبيرك ، وأود أن تظل في قصرى بين رجال البلاط والسحرة
حتى يأخذوا عنك الحكمة ...

— لك ذلك يا مولاي ولكننى لا أستطيع التثكر لواجبنى حيال
الفقراء من الناس ، واحتفظ لنفسى بحق مساعدتهم ، شأنى معهم
قبل اليوم ..

وهكذا كان ...

وأخذ أوزيريس يمضى كل يوم الى البلاط فيجلس اليه رجال
الحكمة يأخذون عنه كل يوم جديدا ؟ وطالما توسلوا اليه أن يبقى
معهم في القصر ، فظم يمر توسلاتهم التفاتا ، وقال لهم انه يفضل
البقاء في دار الكاهن آتى الذى سبق الناس جميعا الى صداقته .

وكثيرا ما كان أوزيريس يتحدث الى جلسائه عن المعبد الذى
فيه يتعبدون ، قائلا لهم ان التمثال الذى يجثون أمامه عاجز لا يستطيع
أن يمدى اليهم معونة ما ؟ ولكن فوقهم موجودا أعلى ؟ يدفع عنهم
الأذى ويرعاهم ، ويستجيب لدعائهم ، وان الشمس التى ينبعث منها
الضوء والحرارة اما هى آية من آيات ذلك الموجود ، وان نهر
النيل الذى يروى الأرض ويغذى الزرع ، انما أرسله عليهم من
السماء ، فاذا عاشوا عيشة النبل والايتار ففى مقدورهم أن يلحقوا
بمملكة الاله العظيم حيث يعيشون فى رفاهية ومجد ، وبهذا
الأسلوب بث أوزيريس فى قلوبهم فكرة تقدير الموجود الأعلى ،
وقد سهل عليه سبل الاقتناع ؛ أن أعماله كانت خارقة تبلغ حد
الاعجاز ، حتى ان سامعيه كادوا أن يحسبوه هو نفسه الاله العظيم
الذى يحدثهم عنه ...

وفي يوم من الأيام التى يجلس فيها الملك للحكم بين الناس ، دخل أوزيريس البهو فوجد سحابة من انصمت تخيم عليه ، ورأى الضابط الشاب حوتب يقف وحده على مبعدة من الناس ، وقد رانت على وجهه سحابة من الوجوم ؛ كان ذلك المحارب الشاب ممن أسروا قلب أوزيريس فهو يتحمل التبعات الجسام دون خوف ويسلك مسلك الفرسان ، ويمالج الأمور فى صراحة مرحة .

وعبر أوزيريس البهو الى حيث يقف المحارب الشاب وماله :
— ماذا حدث يا حوتب ؟ وفيم وقوفك واجبا هكذا لاتشرح مع الرفاق ؟

— اننى أجنبهم المتاعب بابتعادى عنهم ، ألا تعلم أن الملك سيصيب غضبه عليك اذا رآك تتحدث الى الآن ..
ولاحظ أوزيريس أن رجال البلاط ينظرون اليهما ويتهايمسون
فسأل حوتب :

— وماذنبك ... ؟

— ذنبى هو اننى لم أنطق ذوى المناصب ، ولم أمسك على الخطأ يقترب أمامى ، وبهذه الطريقة صنعت لنفسى أعداء كثيرين ، فانهمنى هؤلاء الأعداء بالتآمر على حياة الملك ، وماذا هنا اليوم لأحكم ...

— آه ... اذن فهناك من تغضبهم شجاعتك ، ورؤيتهم صدقك ... !؟

نطق أوزيريس بالعبارة الأخيرة فى عجب مقرون بالاستياء ، ثم

تحرك في خطوات بطيئة متناقطة ليتحدث الى كاهن المعبد ، ينمى
رأسه منكس وضعفه غارق في تفكير عميق ...

ودخل الملك البهو في تلك اللحظة ، فانصرف ابتاه رجال البلاط
الى مايقول ، ولكنه لم يقم كعادته بعد أن انتهى حديثه ، بل جلس
على كرسي العرش ، ثم سأل بعد برهة في عظمة وتعال :

— هل عبدنا حوتب هنا ... ؟

فخطا الشاب الى الأمام وانحنى في اجلال ثم قال :

— نعم هنا أيها الملك ...

— لقد تناهى الينا مايشكك في ولائك .. ؟ فأت متهم بـالتآمر
على عرشنا . ؟ فهل لديك ما تدفع به التهمة ... ؟

— أتوسل الى مولاي أن يدعنى استمع الى الادعاءات
بالتفصيل .

— وقطب الملك جبينه ، فانه لم يألف أن يتشكك أحد فيما يقول ؟
ولكنه كظم غيظه وقادى قائد حرسه وأمره :

— اقرأ ماورد في الادعاءات ...

— عبدك حوتب ، النقيب في جيش جلالتك ، متهم بالتآمر على
سلامة الملك والبيت المالك ؟ بل ويحرض الآخرين على مساعدته في
هذا العمل الشرير ، وقد حاول بث روح التمرد في نفوس قوات
جلالة الملك حين كان يؤدي عمله كنقيب في جيش الجنوب ، وهو
يرمى من وراء ذلك الى تسخيرهم لتنفيذ مآربه الشريرة ...

وبعد أن انتهى قائد الحرس من التلاوة وجه الملك الكلام الى
حوتب قائلا :

— مارأيك في هذه الاتهامات .. ؟ وماجوابك عليها ???

— ومن هم الذين اتهموني ... ؟

وقلب الملك جبينه مرة أخرى وقال فى غضب :

— ان هذا لايعنيك فى شىء ، وقد سمعت الاتهامات فهل لديك ماتدفع به التهمة ??

لاشىء يامولائ الا أنه كذب صراح ، اختلقه على أعدائى ، ان جلالتكم تعلمون اخلاصى فى أداء واجباتى ، واتنى أحتى برأيكم واقفا من شرفكم .

وبدأ على الملك لمدة قصيرة أنه محرج ، ولكن الغضب عاوده مرة أخرى فقال :

— الاعدام جزاء خطيئتك ... اذهبوا به ...

وحدثت حركة فى اليهود فالتف الحراس بحوتب ، يريدون تنفيذ أمر الملك ، وأدار المحارب الشاب نظرة سرمة حول اليهود ، فقد كان فى نضارة العمر ، والحياة لاتزال جميلة محببة ، ولكنه لم يجد على وجه من الوجوه المحيطة به نظرة تشجيع واحدة ، وغلب عليه اليأس فاستدار فى صمت ومرارة الى الرجال الموكلين به ، وقد ارتسمت على شففيه بسمة ذاهلة ، وأسلم اليهم قياده ، ليسيروا به الى مصيره المحتوم ..

— وهل يعدم الملك رجلا لم يسمع دفاعه ... ??

أتلى أوزيريس بذلك السؤال ، وكان قد خطا نحو العرش ، دون أن يلحظه أحد ، واستأف سؤاله :

— وهل من دواعى شرفه أو نبله ، أن يبعث بخادم مخلص ، يسموت على هذا النحو ؟

واكتسحت اليهود عاصفة من الدهشة كما تهب الريح فجأة ، فلم يحدث من قبل أن شخصا ناقش الملك فى رأيه بصراحة ، حتى ان الملك نفسه قد أخذ بهذه المفاجأة ، فلم يستطع الكلام ، وبعد فترة طويلة أفاق من ذهوله ودهشته ، وعادته القدرة على الكلام فقال :

— انك تجترى كثيرا على العطف الذى أوليناك ، ألسنت غريبا
فى ديارنا ؟ ان اندفاعك على هذا النحو سيؤدى بك الى نفس
المصير الذى صار اليه من تدافع عنه ؟ فقف جانبا ولا تدخل فيما
لا يعينك أكثر من ذلك ؟ والا حدث لك ما يسوءك .

— أنا لا أطلب منك أكثر من اتباع العدالة مع الرجل ، فهل
أنت فاعل ذلك ؟

— أتجرؤ على مخاطبتنا بهذه اللهجة ؟ خذوا هذا المأفون
بيدا والا قتلته حيث يقف !!

صرخ الملك بهذه العبارة فى غضب ، واهتز الرمح الطويل فى
يده ، ولكن أوزيريس لم يتحرك من مكانه وقال فى هدوء :
— لن أبرح مكاني هنا حتى تأخذ العدالة مجراها مع رجلك
حوتب .

واندفع الملك فى غضب الى الأمام والرمح مشرعة فى يمينه ،
ليطمئن بها أوزيريس ، ولكن أوزيريس صاح فيه :
— مكانك .

انطلقت الصيحة مجلجلة كالرعد تتجاوب التلال صداه ، وكأنما
شل الملك عندما بلغت أذنيه هذه الصيحة ، فجمد فى مكانه ، وهوى
الرمح من يمينه على الأرض الجرانيتية ، وحملق رجال البلاط فى
فزع وخوف شديدين ، وكأنهم يتساءلون ماذا سيحدث بعد ذلك ؟
وكم كان أوزيريس شبيها بالآلهة وهو يشرف عليهم جميعا
كرجل يشرف على جمع من الأطفال وذراعا ممدودتان ، وعيناه
تلتزمان كاللهب البراق الحاطف !!

وفى ببطء استرد الملك شعوره وارتمى فى مقعده وهو يرتعد
من الخوف .

وقال أوزيريس فى صوت رهيب :

— لو تقدمت خطوة أخرى لكنت الآن فى طريقك الى التلال

السفلى *** انتى أملك القدرة على افنائك ؛ وافناء من يحيطون بك *
فأطلق صراح رجلك حوتب الذى اتهم بالباطل ، وأنزل العقاب بمن
أرادوا القضاء عليه ، ولاثر غضبى مرة أخرى ، ولكن تذكر جيدا ***
واخش كثيرا ***

وقبل أن تعاود الجمع المذهول قدرته على الحديث والحركة ،
كان الاله قد ذهب **

ومرض الملك على أثر ما حدث ، وانتقل الى الضلال السفلى ، ولحق بآبائه وأسلافه ، ولم يترك من يخلفه على عرش البلاد ، وكان على النبلاء والحكام أن يتخيروا واحدا منهم ليحكم البلاد ، بدلا من الملك الراحل ، فأجمعوا أمرهم على تولية أوزيريس ، ولكن أنى له أن يتقبل التاج وما تملك يرسلته ؟ ومر على مصر دهر طويل وهى بلا ملك ، حتى أصبح أهلها كالأنعام الضالة لا تجد من يرعاها ، وعندئذ نزل أوزيريس على رغبتهم ، وقبل الولاية عليهم .

واقضت أعوام وتلتها أعوام ؛ وأوزيريس وزوجه ايزيس يحكمان البلاد فى أمن وسلام ، وقد استمر أوزيريس يعلم الناس فنون الحياة ، شأنه معهم منذ حل بأرضهم لأول مرة ، وامتد حكمه خارج حدود مصر ، فأخضع الناس لا بقوة السلاح ولكن بالكلمات الطيبة ، وبثقتهم فنون الزراعة ومطالب الحياة السلمية التى لم يتعلموها من قبل ، وغالبا ما كان تنفيه فى أسفاره يستمر شهورا طويلا ، فكانت ايزيس تحل محله فى حكم البلاد .

وذات صباح طرق باب القصر فى طيبة رجل غريب المنظر ، تصحبه شرفة من الرجال المسلحين ، وكان الرجل قويا فارعا الطول ، ولكن وجهه كان شديد القبح ، بل كان أقبح وجه شاهده حارس الباب طول حياته ، كان مسخا هائل الخلق ، وكان ذراعاه الطويلان بتأرجحان فى تراخ على جانبيه كذراعى النوريل ؛ ورأسه الضخم قد استقر على عنق قصيرة مكتنزة كعنق الثور ، وكان حاجباه كشيئين أسودين كزوج من الخنافس ، وأثفه ضخما مفرطحا ، ومما زاد فى بشاعة وجهه ، شفته المشقوقة التى تكشف عن أنيابه القذرة ، لقد كان وجهه وخلقه يوحيان بالشر الكامن فى داخله ، حتى ان حارس

البوابة الشجاع قد داخله الخوف فالتصق بالبوابة وسأله :

— من أنت ؟ وماذا تريد من هنا ؟ ..

— هل هذا هو قصر أوزيريس ؟ ..

— انه هو ... فماذا تريد منه ؟ ..

— اذهب فأخبره أن أخاه ست واقف بالباب ، وأنه يهديه
أطيب التحيات .

— أنت ؟ ... ؟ أخوه ... ؟

نطق الحارس بتلك العبارة في عجب وأطلق ضحكة مدوية ...
مستحيل أن يكون ذلك المسخ أخا لملكهم الشبيه بالآلهة ... ؟
واستشاط المارد غضبا وزمجر :

— نعم أخوه أيها الغبي ... أسرع برسالتى والا حطمت هذه
البواب على رأسك الفارغ ، ثم التقطتك على سن رمحى هذا ...
وكانما هم ست بتنفيذ وعيده ، فمد يده الضخمة التى يكسوها
شعر كثيف أسود ، وأمسك بقضبان البوابة وهزها هزا عنيفا كأنما
يريد اقتلاعها من موضعها ، وعندئذ تراءى للحارس أنه من المستحسن
أن يحترمه فقال له :

— سأرسل رجلا برسالتك ...

واستدار الى واحد من رفاقه وأمره بأن يحصل هذا النبأ الى
القصر ، وكهم دهش الحارس حينما عاد الرجل يحمل الاذن للغريب
وزملائه أن يمشوا بين يدى الملك ...

ووقف أوزيريس فى أعلى الدرج المؤدى الى المدخل يتظـرر
أخاه ، وقد رجب بقدمه الى المدينة ورجاه أن يقيم معه فى القصر ،
فقد كان جناح جديد على وشك أن يتم ، ولكن أكثر من واحد من
الواقفين حولهما لاحظ أن تحية أوزيريس لأخيه كانت تهتف الى

كبير من حرارتها المألوفة ؟ ولاحظوا أيضا تلك البسمات الحبيبة التي ارتسمت على وجه ست •

ومنذ تلك اللحظة ذهب الأمن والسعادة اللذان صبغا حكم أوزيريس ، وشاعت في المدينة وفي الحقول على السواء روح من البؤس والشقاء ، لا يدرى أحد كيف جاءت ، وأسلم الناس أنفسهم للعراك والشجار دون ماسبب ظاهر ، وكانوا جميعا يتمنون لو عادت تلك الأيام الطيبة التي سبقت مجيء ست ورفاقه الى طيبة الوداعة .

وكان أوزيريس يعلم أخيه حق العلم ، فهو لا يثق فيه حتى يقاسمه أعباء الحكم ، ولذلك لم يساهم ست بتصيب في حكم مصر ، وانما كان همه مقصورا على الصخب والعريضة مع رفاقه ، في الجناح الخاص بهم ، أو الخروج للصيد في رحلة قد تستغرق بضعة شهور ، يعيشها أهل طيبة في أمن وسرور ، ومن الانصاف لأهل طيبة أن تقول ان معظمهم كان يعتقد في قرارة نفسه أن ست الشرير ياتمر بأمر بأخيه ؟ وأن تظاهرة بالمودة ليس الا قناعا يخفى وراءه نواياه الأليمة ...

وكانت ايزيس خلال رحلات أوزيريس وأسفاره تحرص على منع ست من ارتكاب أعماله الشريرة ، فكانت ترصد له خادما مخلصا يراقبه ، ويخبرها بكل تصرفاته وأعماله •

وهكذا مرت السنون وايزيس وأوزيريس يجساهدان لتحسين حال شعبهما ، ولكن ست الشرير كان واقفا لهما بالمرصاد ، ينتظر فرصة تواتيه ليسيطر على هذه البلاد ، ويضعها لسلطانه البغيض ، وكان حقدته على أخيه الطيب وأخته الجميلة يشتد ويأكل قلبه أكلا ...

انقضت بضعة أيام وست يلزم غرفته الخاصة لايرحها بحجة
الافتراء بنفسه ، ولم يتنازل عن حجته هذه حتى مع أخلص أصدقائه
وأقرب المقربين اليه ، أما رجاله هؤلاء فكانوا ينفقون الوقت في
حياة شريرة ، ويشيرون القلاقل والاضطرابات ، حتى اضطر قائد
الحرس أن يقبض على اثني عشر منهم وأن يودعهم السجن ، ولكن
أعمالهم الشريرة لم تنقطع رغم ذلك ، بل ثابروا عليها سرا .

وانطوى ست على نفسه لا يوح لانسان مهملا كان بما يدور
بخلفه ؟ وامتنع عن الطعام لايسه والشراب لا يقربه ؛ وقد تعلم
الخدم أن يجتنبوا غضبه الشديد ، وذات يوم اهتلت المارد من
فرائشه فجأة وهو يقول « أستطيع أن أفعلها ... وسأفعلها » وعبر
الحجرة في قفزين الى صندوق خشبي ثقيل ، وأخرج منه ثوبا من
النسيج الموشى ، يختلف تمام الاختلاف عما ألفه المصريون ، فقد
كان أنعم ملمسا ، وكان يشع في نور الشمس مزيجا من الألوان
أشبه بقوس قزح ، وحصل المارد الثوب بين يديه وانطلق باحثا عن
أخيه الطبيب أوزيريس .

وكافت الفرصة مواتية ... فقد كان أوزيريس وسده ، فسأل
أخاه باشفاق :

— كيف حالك اليوم يا ست .. ؟ أرجو أن يكون المرض قد
زائلك ..

— لقد زائلتى تماما ، واني لأحمد لك هذه اللفتة الأخوية ،
ودليلا على اخلاصى وامتنانى سأقدم لك هدية متواضعة ؛ مما رأيك
في هذا النسيج .. ؟

نطق ست بتلك العبارات في لهجة رقيقة مهذبة ، وكان في ثيابه رجلا

آخر ، وقدم قطعة النسيج الى الملك الذى تحسسها معجبا وقال :

— انه لنسيج رائع حقا ... ولا مثيل له فى هذه البلاد

— اذن فهو يصلح رداء للملك ولو قبله أخى فسأصنع له
عباءة منه ؟ تلبق بسمته الملوكية ...

— أشكر لك كرمك يا أخى ... ولن أكلفك عناء بعد ذلك
فاتركه لصانعى العباءات فى القصر .

— ان ذلك سيفقده نصف جماله يامولاي ، فدعنى آخذ
المقاييس الضرورية ، ويسعدنى أن أوصى بصنعه من أجلك .

— لك ماتريد يا أخى اذا كانت هذه رغبتك ...

ولم يخامر أوزيريس أدنى شك فى نوايا أخيه الشرير ، فقام
واقفا وأخذ ست يقيس طول له على النسيج من قمة رأسه الى أسفل
قدمه ، فعلق أوزيريس على ذلك ضاحكا :

— ولكن العباءة لن تغطى رأسى أيضا ... أليس كذلك ؟؟

— طبعا ... طبعا ... ثق من ذلك .

ولقد فاه المسخ بهذه العبارة فى تأكيد مدع ، وهو مستمر
فى قياس بقية الأطوال بالطريقة نفسها ، ثم أعلن فراغه من مهمته بعد
لحظات :

— سيتم صنعها فى أقرب وقت ؟ وسأمنى بها الى صانعى الخافق
فى الحال ..

وانطلق ست الى رفاهه فى الجناح الخاص بهم ؟ ودعاهم اليه
فى عجلة الملهوف ، وبعد ساعة من الزمان كانوا يجدون فى الرحيل
صوب الجنوب ، فوصلوا مع المساء الى مستنقع كبير يقوم على
حافته كوخ صغير .

وأوقف ست رفاهه وانطلق وحده الى الكوخ المنزل ، وتعت

ابطله ذلك النسيج الزاهي ، ولقد ظل في الكوخ طويلا حتى كاد الرفاق
 يضجرون ؛ ولو كان هناك أحد على مقربة من الكوخ اذن لعجب
 للحديث الذى يدور فيه ، فالتغليف بالذهب ، والحفر فى الخشب ،
 والترصيع بالجواهر ، كل ذلك لا يمت بصلة الى صنع العباءات ،
 ولكنها كانت على أى حال مدار الحديث داخل الكوخ ، ومما يدعو
 للعجب أن ست حينما خرج من الكوخ كان النسيج لا يزال تحت
 ابطه ... !!

واستأثفت الجماعة رحيلها ؛ وظل الجميع راكبين معظم الليل؛
 حتى وصلوا بعد يومين الى كوخ آخر منعزل ، حيث ترك ست
 النسيج ومعه التعليمات الكافية لتفصيله ، ثم استأثفت الجماعة
 الرحيل للمرة الثالثة ، واستمر السفر سبعة عشر يوما ، وصلت الجماعة
 بعدها الى عاصمة اثيوبيا .

واطلق ست لتوه الى القصر الملكى وطلب الاذن بالدخول ،
 وسرعان ما سمح له بذلك ، وتوجه فى الحال الى آسو ، ملكة اثيوبيا
 السوداء ، ودار بينهما الحديث التالى :

— حسنا ... هل وقعت فى مهمتك ؟

— لم أته بعد ... انهم دائما على حذر ، وأخشى أن تكون
 ايزيس فى شك من الأمر ، وقد تكون على علم ببعض خططى
 وتدابيرى .

— لم تنته بعد ...؟! دائما نفس القصة تأتى بها ؛ أظنك
 كنت واقفا من النصر فى المرة السابقة !

— عزيزتى آسو ، ان أحدا لا يستطيع أن يفعل أكثر مما فعلت
 أنا ، ولكن الخطوات الأولى تعتمد على الدهاء والحيطة أكثر من
 القوة والبطش ...

— حسنا ... !

— ان لدى خطه ، ومن أجل ذلك جئت الى هنا ، ونجاحها
مؤكد ان استطعت أن أحول بين أوزيريس وزوجته اليقطة ، ان
رجالك على استعداد لموتى ... أليس كذلك ؟؟

— آنا مازلت عند كلمتى ...

— اذن سنرحل غدا ، وفى هذه المرة سترين انى اتصرت ...
وفى صبيحة اليوم التالى بدأت رحلة العودة ، وكانت قوة
كبيرة من الجند تصحب ست ورفاقه الاثني والسبعين ، وفى اليوم
السابع أسرع المارد ومعه ثلة من الجنود ، على أن يلحق به الباكون
بأقصى سرعتهم .

وظلوا يصلون الليل بالنهار مجددين فى الرحيل ، لا يستريحون
الا ساعات قلائل عند الظهيرة وساعات قلائل عند منتصف الليل ،
وعندما وصلوا الى الكوخ الذى تركوا به النسيج وقف ست ونادى
اليه الرجل :

— هل انتهيت من مهمتك ؟...

— كل شئ على مايرام ... هل لسيدي أن يرى العباءة ... ؟؟

— لا ... انى أعرف فيك الاقنان ، فهاها ودعنى أذهب .

ومرة أخرى جدوا فى الرحيل ، وقطع موكب رع رحلته
الساوية مرتين ، حتى وصلوا الى الكوخ الثانى على المستنقع ، وكما
حدث أول مرة دخل ست الكوخ بمفرده ، وأغلق الكوخ عليه وعلى
الصانع ، وخرج بعد برهة ودعا اليه رفاقه قائلا :

— سنتم رحلتنا بطريق النهر ... فاحملوا هذا وضعوه فى
القارب الراسى فى مدخل المستنقع .

وكان الشئ الذى أشار اليه ملفوفا بغطاء من البردى قد صنع
بمهارة فائقة ؟ وكان يبدو كصندوق طويل ؟ كان كالتأبوت كما قال

أحد الرجال لرفيقه ، ولكن سيدهم لم يوضح الأمر ، وكانوا يطمنون جيداً انه لن يوضحه لهم فأكثروا الصمت .

ودون أن يطلقوا بكلمة حملوه الى القارب ، ودفعوا به الى القناة الضيقة التي تؤدي الى مجرى النهر ، واندفع القارب بلطف مع التيار

وفي الليلة التي وصل فيها القارب الى طيبة ؛ ثم دفع الى درج القصر المؤدى الى جناح ست ، وقل «الشيء» الغامض في هدوء الى الداخل ...

وفي صباح اليوم التالي انتظر ست مقدم أخيه أوزيريس حاملاً معه العبادة التي وعده بها ؛ وحيا الاخوان بعضهما بعضاً ، وقدم ست العبادة لأخيه قائلاً :

— هل يسمح مولاي بتجربتها ... ؟

— بالتأكيد أيها الأخ ... دعنى أجربها الآن ..

وكانت العبادة ثلاثه كل الملامسة ، وكانت تدلى على كتفيه في ضوء الشمس ، فتضفى على سمته الملوكية جللاً فوق جلال ، فنظر اليها معجباً وقال :

— انها لهدية ملكية حقاً ، وانى لأشكرك عليها ، ولا أدرى كيف أرد لك الجميل ... ؟

— يكفينى أن تشرف جناحى هذا المساء مرتدياً هذه العبادة ، وأن تشاركتنا حفاوتنا بك .. ان مائدتى نادرا ماتحظى بتشريفك ، وان هذه الزائرة لتعد أحسن جزاء لى على ماكلفتنى هذه العبادة من جهد بسيط ...

وكان أوزيريس لا يرتاح الى مآذب أخيه ، لأنه يعلم أن رفاقه يسرفون فى الشراب والضجة ، وكان يكره ذلك وينفر منه نهوراً شديداً ، وعلى أى حال فانه لم يرفض فى هذه المرة ، «فما ذنب أخيه

وقد ركب في هذه الفرائز التي تقوده في طريق العار ٩٠٠ ؟ لقد
كان أوزيريس يفكر بكرم ٠٠

ولما انصرف ست بحث أوزيريس عن ايزيس وأراها الهدية
الجميلة التي تلقاها ؟ وأخبرها أيضا بوعده لأخيه ؟ أن يحضر مأدبته هذا
المساء ، فنظرت إليه ايزيس في جزع وقالت :

— ولكنك قلت انك لن تذهب الى هناك ثانية ٠٠ ؟

— بعد هذا العمل الخير كيف أضن بهذا العطف الصغير ٠٠ ؟

— انها خديعة ست ٠٠٠ وان وراءها لثرا لست تدركه ٠٠

— ألسنت تظلمينه يا ايزيس ٠٠ انه لم يزل من العطف مانئله ٠٠

— انتي أرثي له ولكنني لا أظلمه ٠٠ ان جسده المختل التكوين
صورة لقلبه المختل ، وانه ليضر لك الشر ، فأتوسل اليك ألا تذهب
اليه هذا المساء ٠٠٠

نظمت ايزيس بالعبارة الأخيرة وعيناها شرفتان بالدموع ، وقد
كان أوزيريس وايزيس الهين حقا ، الا انهما عاشا طويلا بين
الناس ، وتشربا بأفكارهم ، بأحزانهم وأفراحهم ، وآمالهم
ومخاوفهم حتى أصبحا أنصاف بشر ، يتأثران وينفعلان كالناس
سواء بسواء ٠

وفي ذلك اليوم ألح على ايزيس قلبها البشري بصوت مرتفع ،
وفي حزن مرير ، أن تحذر زوجها مادامت تتعلق به وتقف عليه
عواطفها ، وقال أوزيريس وهو يعاقها بشغف « ان ست لن يستطيع
أن يلحق به ثرا مادام في قصره ، ووعدنا بالعودة قبل أن يتتصف
الليل لكي يطمئن قلبها الجازع ٠٠

وكان قلب ايزيس يلح عليها طوال تلك الليلة ، وكانت الأشباح
الغريبة تتراقص وتتميل أمام عينيها ، وعلى حين فجأة شاعت في الجو
حرمة غريبة ، فذهبت الى مخدعها واستلقت على فراشها ، ولكن

النوم استأبى عليها ، ففى الناحية الأخرى من القصر ، كانت تستطيع أن ترى الأضواء الزاهية فى صالة الاحتفالات ، وأن تسمع الضحكات الوحشية والضجة العالية .

وفى خلال ذلك كانت المائدة قائمة ، كانت تليق بالملوك حقا وكان أوزيريس يتصدر المائدة ، ويواجهه أخوه فى الطرف الآخر ، وقدم اليهم طبق بعد طبق من اللحوم النادرة والأطعمة المنتقاة ، وكانت أكواب النبيذ وكيزان الجمرة لا تفرغ أبدا ، يسهر عليها سقاة متيقظون ، وبعد انتهاء الطعام ، هب ست واقفا وكان يبدو أن الشراب قد فعل فيه فعله وصاح :

— فلتشرب معى أيها الملك ، وآتم أيها الرفاق ، اشربوا نخب صاحب الجلالة أوزيريس العظيم ؛ ملك مصر الخالدة ..

وزحمت الجو صيحة جذل وسرور ، وشرب الجميع النخب فقال ست ثانية :

— اتنى سمعت كثيرا بهارة الصناع المصريين ، ولكننى يأخى خلال رحلتى الأخيرة ، وقع بصرى فى إحدى البلاد على صندوق غريب الصنع ، أستطيع وأنا واثق مما أقول أن أقرر ان لا نظير له فى أى مكان ، فلنلق نظرة على الصندوق يامولاي .

وعندئذ أمر ست خدمه أن يرفعوا الغطاء عن الصندوق الغامض الذى جلبه من الجنوب وكان ملقى فى نهاية البهو . وأن يحضروه أمام المدعوين فى النور ، وعندما رفع عنه غطاؤه المصنوع من البردى ، نلت عن الجميع صيحة دهشة وسرور ، فقد كان مصنوعا من المعدن على نحو غريب ، وكانت أفتاله على شكل أزهار اللوتس ، وقد نقش على غطائه تاج الوجهين بالأحجار الكريمة .

وأعجب الجميع بالصندوق الجميل ، وقال أوزيريس انه لايعرف صائعا فى مصر يستطيع أن يبدع مثله ، وازداد الهرج والمرج عندما

أعلن ست ، وقد أثر فيه فرط الشراب أنه سيمنح الصندوق هبة ،
للشخص الذى يلائم الصندوق جسده تماما .

وانسحب الخلم من البهو ، واندفع السكارى نحو الصندوق
عندما أعلن ست هبته السخية ، وأخذ كل بدوره يجرب الصندوق
فيجره رفاقه منه فى جنون من المرح ، وكل يأمل أن يكون الصندوق
من نصيبه ، ولكن الصندوق كان أكبر من أجسامهم جميعا ، وأخيرا
صاح ست :

— أيها الملك ... ألا تكرم بتجربته ؟؟ انه يصلح أن يكون
صندوقا لعباءتك ..

واعترض الملك ضاحكا من الفكرة ، ولكنه لكى يخلل المرة
على الجمع القلق ، المشغوف بتurf النهاية ، قام من مقعده وخطا
نحو الصندوق ، ولكنه لم يلاحظ ذلك البريق الخائن ، الذى لاح
فى عيني المسارد ، والأصابع المرتشة من الأفعال التى امتدت فى لهفة
الى الغطاء ، وصدرت من الجميع صيحة كلها دهشة ، حينما استلقى
أوزيريس فى الصندوق ، لأن الصندوق كان يلائمه كأنه صنع من
أجله ! ... وهو فى الواقع قد صنع من أجله ...

وفى اللحظة التالية ، وقبل أن يستطيع النهوض ليخرج من
الصندوق ، أزل ست الغطاء فى وحشية وحزم الصندوق ، وأغلق
الأقفال ، وثبت الغطاء بالمسامير ، وصب رصاصاً مذاباً حول الحواف
ليزيد من تأكيد القفل ، وصاح ست فى رفاقه :

— الى النهر يارفاق ... ومعكم الصندوق ، ولنسرع الى الجبهة
حيث ينتظرنا الباقون ، ان مصر أصبحت لنا .. !!

ومروا خلال البهو ، وهبطوا الدرج الى النهر ، ثم ألقوا فيه
بالصندوق ، ودارت به الدوامات المائية ، ودفعته الى وسط المجرى ،
فدفعه التيار وجرفه الى الأمام ، وفى اللحظة ذاتها انبثق لهب من

الأعماق المظلمة ، أثار القصر والبلدة ، كما لو كان ضوء النهار ،
يضرهما •

ووقف ست وحيدا على الشاطئ بينما أسرع رفاقه الى القوارب
فلما انبثق ذلك اللهب صرخ في فرع شديد ، وقفز الى أحد القوارب ،
وأخذ يجذف فارا بحياته بين رفاقه المسرعين •

وأجهدت اليقظة المفزعة ايزيس فراحت في سبات عميق ،
تترادف أحلام مفزعة مخيفة ، جعلتها تحاول أن تغفل متيقظة ...
وللمرة الثانية غامت عينها بذلك الضباب الأحمر ، وبينما كانت
صيحة ست الجزعة ، تطوى البهو لتوقظها ، أبصرت بطيف أوزيريس
والدم يسيل على وجهه ، وهو يشير بأصبعه الى أعلى ، فهبت من
فراشها بقلب يكاد يصيح من الفرع ، وخطت الى حيث يقف الطيف ،
ولكن ذراعيها أطبقتا على الفراغ ، وأخذت تصغى في فرع شديد
الى الأصوات المنبعثة من أسفل ، وهي تنتظر عودة زوجها ومولاها ،
يعد طويل من الوقت سكن الضجيج ، وتبعه صوت المجاديف تضرب
الماء في شدة وعنف ، وقالت لنفسها ، الآن سيحضر أوزيريس ...

وفي هذه اللحظة انبثق اللهب من النهر ، فتضاعفت مخاوفها
ألف مرة ، ونظرت ايزيس الى النهر بعينين فيها دموع ، ووقع
بصرها على ست وهو يندفع الى القارب ، ويجذف بجنونه على الماء
قبل أن يتلاشى اللهب ، وتلاشت الأصوات حينما ابتعدت القوارب ،
ولفت البلدة موجة من السلام والسكينة ، وايزيس لاتزال تنتظر ...
ولكن الذى تنتظره لن يعود مرة أخرى .. فقد ذهب الى غير
رجعة ... لأن ملك مصر أوزيريس قد مات • قد قضى نحبه ضحية
أخيه الشرير وحسده الأليم •

كان الفجر ينشر أشعته الشاحبة على الكون الحزين ، حينئذ
أفاقت إيريس من اغماؤها الطويل ، الذي راحت فيه بالأمس ، وكانت
أول ما أفاقت لا تذكر شيئاً ، وكأنما مرت يد النسيان على عقلها ،
فأخنت تجهد نفسها في تذكر أحداث الأمس ، وفجأة اندفعت الى
رأسها أحداث الليلة الماضية ، ولزذحت في ذاكرتها ، فسقطت في
فراشها ذاهلة من الرعب ، ونهضت بعد جهد كبير ، وبدأت تعد نفسها
للمستقبل ، فقد أدركت أن مولاهم قد مات ، وأن اليد الشريرة التي
دفعته به الى هذا المصير المبحر ، ستعود سريعاً لتقبض على هذا
التاج ، ولشد مأخضيت ما يضره ست من نوايا النوء ، ولشد ما كانت
تلك المخاوف سريعة التحقق

ولم تنقض عشرة أيام على قتل أوزيريس ، حتى رابط جيش
أجنبي قوى في السهل المنبسط أمام طيبة ، وأقبل مع المساء ضابط
رسول ، وقدم الى أسوار القصر ، وطلب رؤية الملكة ، ولكن
إيريس رفضت أن تراه ، وأمرت قائد الحرس أن يتسلم منه رسالته
وافضى الرسول وقال :

— ان ملك مصر يهدى أخته إيريس تحياته المتواضعات ،
ويعرض عليها الزواج ، فإذا تعطفت وقبلت فانها ستنتقل تقاسمه
عرشه وحكمه للبلاد ، كما كانت من قبل ، أما اذا رفضت ، فبان
ست يعلن الحرب على البلاط والبلدة معاً ، ولن يبقى فيها حجراً
على حجر ولن يبقى على انسان ينقل القصة الى الأجيال
القادمة

وخل الحارس الرسالة الى مولاته ، فلما انتهى من كلامه قالت
إيريس :

— وماذا تقول يا حوتب ؟
ولم يكن قائد الحرس الا ذلك الضابط الشاب الذي أهذه
أوزيريس من غضب الملك السابق .

— أقول ان ذلك الممرور لو كان أمامي أيتها الملكة ، وكنت
حرا أفعل ما أشاء ، اذن لخطت مصر من شره قبل ان يكمل الانسان
المائة عدا ..

— وبقيّة الضباط ماذا عساهم قائلين ؟

— مثلما قلت أيتها الملكة ... ان قواتنا الآن قليلة ، لأن ذلك
اللعين قد انتهز فرصة غياب قواتنا في الشمال ، ولكننا لن نسلم
المدينة ما بقي فينا رجل على قيد الحياة .

— اننى أعلم أنك ستبذل ما في وسعك ، ولكننى أخشى أن
تكون قواتنا من القلة بحيث لا تستطيع مقاومة ، فاذهب الآن
واتخذ من الاجراءات ما تراه أنسب ، أما عن قسمى فأتى سأغادر
طيبة في الحال ، يجب أن أمضى ، لأبحث عن أوزيريس مولاي
ومولاك ...

— أيتها الملكة ...

نطق حوتب في ضراعة بتلك العبارة ثم انصرف .

واستمر الدفاع ستة أيام ، فتحت بعدها ثغرة في الأسوار
وتدفق قطع سنه الأسود الى الداخل ، وأعمل هؤلاء البرابرة
السود ، القتل والتذريح في الرجال والنساء والأطفال ، حتى سالت
الدماء أنهارا في الطرقات ، وارتمى القتلى في أكوام بشرية كثية ،
ثم تقدم العدو الى القصر ، حيث تجمعت بقية الجيش المخلص .

ومرة أخرى أرسل ست يعرض الأمر على ايزيس ، عليها ترضى
به زوجا ؟ وتغير رأيها ؟ ولكنها لم تكثر حتى بالاجابة عليه ...
أتزوج من قاتل زوجها وأخيها ... ؟ أرضاه ملكا وسيدا ... ؟
أن مجرد التفكير في ذلك جعل جبينها الملكي يندى بالدمار ...

وفي اليوم التالي نجح رجلاه السود ؛ في تسلق السور الخارجي
للقصر ، وأدركت ايزيس أن النهاية تقترب ...

وعادت ايزيس الى مخدعها ، وبعد أن أهلت بعض الهدايا
الى وصيفاتها طلبت منهن الفرار عن طريق النهر قبل فوات الأوان ،
وأمرت بأن تترك وحدها ، وبعد أن ألقت عن جسدها وشاحها
الحريري ، لقت نفسها في نسيج أبيض ، وتركت شعرها النحلي
يسدل على جسدها فكان التماسه في ضوء الشمس يشبه ألسنة
اللهيب .

وبعد أن مددت نفسها في الفراش ، وذراعاها مبسوطتان
أخذت ترتل ترنية غريبة ، تفيض بالغموض ، وأخذ كل ما حولها
يتغير في ببطء ، بينما هي مسترسلة في الترتيل ، وتلاشت جدران
الغرفة ، وتلاشى الأثاث ، وحتى الفراش الذي كانت ترقد عليه
قد تلاشى كل شيء قد غدا منطلقا من قيوده ، لا يحده
شكل من الاشكال ؛ غدا خيالا وكأنه لم يكن الا مجرد حلم من
الأحلام ...

وأخذت ققمة السلاح في الخارج تقترب وتقترب . ، ولكن
ايزيس لم تعد تخشى شيئا ؛ فانها لم تعد تمت الى الأرض بهلة ما ؛
ولم تكن عينا دراستها للتراويل والتعاويد ، ولم تكن عابثة حين
حفظت كلمات القوة عن رع ذي الجلال ...

ودفع ست بالفتاة المخلصة التي كانت تقف على باب سيدتها
جانبا ، واندفع الى المخدع ، ولكن الملكة الجميلة ايزيس لم تكن
واقفة في انتظاره ... وعندما خطت قدمه عتبة الباب ، رفرف طائر
صغير بجناحيه ، ناشرا ريشه اللامع ، الذي يشبه رقائق النحاس
الأحمر ، وطار على الفراش ..

وفي صيحة حزينة انسرب الطائر من النافذة وطار على
النهر ...

وهكذا بدأت ايزيس بحشها عن مولاها أوزيريس الحبيب .

لم تكن ايزيس حين طارت عن القصر ، قد أخذت وجهة معينة للبحث عن زوجها التقيد ، ولكنها كانت خلال طيرانها تهبط الى الأرض في صورة آدمية ، تسأل من تظن عندهم العون في مهمتها ، واهضت بضعة أيام دون أن تحف للجسد الحبيب على أثر ، ولكن للأمل بسم لها ذات يوم .

كانت هناك امرأة منحنية على الماء تملأ جرتها من النهر ، حين تقدمت منها ايزيس تسألها عن الصندوق ، الذي يحمله التيار ، ولكنها لم تكن تعلم شيئاً ، غير قصة سمعتها من زوجها الراعى ، فقد فاجأ عدداً من المخلوقات الغريبة في الوادي . اذ خرج يرعى ذات صباح في البكور ، كانت تلك المخلوقات غريبة حقاً فوجوها وأجسماها آدمية ، ولكن سيقانها وأقدامها كانت كسيقان الماعز ، وقد نبئت على جوانب رؤوسها قرون كهرونها ، ويسمياها الرعاة « جنيات الأراج » ويعتبرونها الحارسة الأمانة لقطاعاتهم ، وسيد هذه الجنيات يدعى « بس » .

واستمرت المرأة في قصتها « وقد أقبلت احدى الجنيات على زوجي فخاف وهم بالفرار ، لأنه من سوء الطالع أن يقابل الانسان جنية بعد شروق الشمس ، ولكنه لاحظ أن الشمس لم تشرق بعد ، ولذلك وقف حتى أقبلت عليه ... »

وسألتها ايزيس بلهفة عما قالت الجنية ... فاستمرت المرأة في حديثها « لقد طلبت من زوجي أن يصنى لكلماتها جيداً . ففي الليلة الماضية ، بينما الجنيات يلعبن في الغاب على ضفة النهر ، ظهر ضوء شاحب يطفو على الماء ، ووسط ذلك الضوء كان هناك صندوق ، وقد قالت الجنية ان هذا الصندوق يضم جسد ملككم وانه لماض مع

التيار ... فاذا ذكر ذلك جيدا ...» وقبل أن يتمكن زوجي من الكلام انطلقت الجنية الى رفيقاتها ، وفي اللحظة التالية تلاشى الجمع ... ثم قالت معقبة على القصة « ولكن من المؤكد أن الملك ليس في الصندوق ... فهو في طيبة ... ونظرت تلتبس التأكيد من السيدة الجميلة ، الواقعة الى جوارها ؛ فقالت ايزيس : « لقد قالت الجنية الحق ؛ فان ملككم قد لقي حتفه في قسوة ، وانطلق جسده مع التيار ، وهناك من يخصه بالحب ويبحث عن جسده ...»

وأغرورت العينان الحزبتان بالدموع ، وانكبت القروية على وجهها فوق الرمال ، وقبلت طرف وشاح ايزيس ، وهممت في خضوع « ملكتي العظيمة ، انا نحن الذين نعيش بعيدا عن طيبة لانعلم شيئا من ذلك ، ألا رعتك السماء في بحثك هذا ...»

وابتعدت ايزيس متتبعة مجرى النهر ، فلديها الآن أنباء صحيحة واضحة ، وانطلقت بأقصى سرعتها على الماء ، وقرب الدلتا كانت لها وقفة ... فالنهر هنا يتفرع الى فرعين كبيرين ، وهي حيرى لا تعلم أيهما تتبع ، فلو أنها اتبعت الخطأ فان ذلك يعنى اضاعة الكثير من الوقت ؛ وربما ضاع جسد أوزيريس الى الابد ...

وفي هذه الحيرة وقع بصرها على جمع من الأطفال يلعبون على النهر ، ولقد أحبت ايزيس الأطفال جميعا ، وخيل اليها أنها ستسنى أحزانها ؛ اذا قضت معهم لحظات قصارا ، فعدت الى صورتها البشرية ، ودرجت على الضفة قريبا منهم ...

كان أحد الأطفال يبكي بعرة ، فتناولته ايزيس بين ذراعيها ، وعبتا حاولت حمله على الكلام والاجابة على أسئلتها ، ولم يزد الطفل على أن جعل يحلق في النهر. كمن يبحث عن شيء فقد منه ، وبدأت ايزيس تسأل رفاقه الصغار ، وعندئذ بدأ الطفل الباكي يتكلم في يراعة حزينة :

— أريد الصندوق الجليل ...»

— أى صندوق ؟...

— الصندوق الجميل الذى كان يلمع فى النهر

— فى النهر ؟؟؟ أين هو ؟..

وأعملت فكرها سريعا فلا يمكن أن يكون هناك صندوقان
فى النهر ... ؟!

— هناك ... بين أعواد الغاب

— وذلك الصندوق ماشكله يا صغيرى ؟

— صندوق طويل جميل ... وكان يلمع .. وعليه أزهار
جميلة ... ولقد لمست يدي ولكنى لم أستطع إخراجه من الماء .

— ومتى كان هناك ؟ ...

— فى صباح الأمس ... وقد عدت الى الدار أبحث عن أبى
حتى يخرج لى ، فلما عدنا من الدار كان الصندوق الجميل يمشى
مع التيار ، وقد حمله النهر بعيدا .

— يا صغيرى المسكين ... لا تحزن ... وسأحضر لك صندوقا
آخر ... تعال هنا غدا فى الصبح وستجد صندوقا جميلا تستطيع
حمله بنفسك .

— صندوق جميل ؟...

سألها الطفل بلهفة وكأنما أنساه حزنه السابق أمله فى الحصول
على كنز جديد .

— وهل سيكون لامعا كالآخر .. ؟ ومطلى بالزهور الجميلة ؟

— سيكون جميلا لامعا كالآخر تماما ، ولكنه أصغر منه حتى
يمكنك حمله بمفردك ... والآن قل لى : أى طريق سلك الصندوق
فى النهر ... ؟

— على ذلك المجرى ...

— شكرا لك يا صغيرى ... والآن سامضى للبحث عنه ...

— هل ستحضره مرة أخرى من أحدى ...؟

— ليس هذا ... فقد لا أعر عليه ... ولكن صندوقك

الصغير سيكون فى انتظارك هنا غدا ...؟

وعندما أسرع الصغير الى النهر فى الصباح الباكر ، كان هناك على الرمال حيث لقي الربة ، صندوق ملقى يلمع فى أشعة الشمس المشرقة كالفضة ، وكان الصندوق معجز الصنع ، وفى فرحة امتلاكه سرعان مانسى الصندوق الضائع ، الذى بكى من أجله كثيرا ...

واستأنفت ايزيس بحثها وهى تتوقع بين ساعة وأخرى أن تجد الصندوق ، ولكن النهر اتسع فى الدلتا وأصبح لايعدو مستنقعا واسما ينبت فيه البردى كثيفا متلاصقا ، وهكذا كانت مجبرة أن تتخذ حيلتها حتى لاتمر به دون أن تنتبه اليه ... ومرت أيام عدة دون أن تحف لذلك الصندوق على أى أثر ...

وذات مساء تهاوى طائر منهوك ، على سقف كوخ مهدم ، على شاطئ المستنقع ، وكان الاجهاد والتعب يبدوان عليه لأن رأسه كانت منكسة ، وكان يجذب أنفاسه فى جهد ، ودار الطائر بنظره فيما حواليه ، وأخذ يهمهم بكلمات غير مفهومة كمن يخاطب نفسه ..

ولعلك أدركت أن الطائر نم يكن الا ايزيس وقد أنهكها طول البحث فقد سارت مع النهر فى كل منعطفاته ، وفشت كل مجموعة من البردى ، وبحثت خلف كل شجرة وفى ثاياها ولكن بلا جدوى ...

فانها لم تثر على أى أثر يدل على الصندوق : ولقد وصلت فى بحثها الى مصب النهر دون أن تحف لجسد أوزيريس على أثر ، فهل أخطأ بحثها الصندوق ... ؟ أو حمله النهر فألقاه الى البحر الرحيب الرهيب ...؟

لقد انقضت شهور عديدة منذ بدأت ايزيس بحثها المفضى ،
وقد مرت بها أيام طافحة بالياس المرر ...

وقالت لنفسها « سأقضى الليل فى هذا الكوخ ... وقد يشهد
الغد نهاية المطاف ... »

وكانت تعودت أن تطمئن نفسها بهذا الأمل كلما ألح عليها.
الياس ، وجاء الغد ومضى ... ولكنه لم يشهد نهاية المطاف ...

وأوشكت ايزيس أن تدع سقف الكوخ وتهبط الى الأرض
حين سمعت نغما ينبعث من خيالة من أشجار الحور ، وتبع ذلك
النغم ضحكات رفاة ، وفى اللحظة التالية كانت تحلق فوق الأشجار
فى اتجاه مصدر الصوت ، وحلقت فى الجو لترى المنظر الغريب
فى أسفل ... !!

ف هناك كانت ربوة مكلفة بالورود البرية والياسمين ، تآثر عليها
القرنفل الوحشى والسوسن ، وعلى جذع شجرة أسقطتها الأعاصير
جلس رجل يحيط به جمع من المخلوقات الصغيرة وقد أخذ أفرادها فى
ضروب من الأحاديث المرحية ، والضحك الرئان ، وهم يصفقون طربا ،
وكان الرجل ممسكا يديه مزمارا من أعواد الغاب وقد ربطت أجزاؤه
الى بعضها البعض بإحكام ومهارة ، ولم يده الرجل من شففيه حتى انبثت
منه أنغام كلها طرب ، وانتشر الجمع الصغير حوله وأخذ يرقص
رقصة جميلة ، واستطاعت ايزيس عندئذ أن ترى الرجل الجالس ،
فلم يكن فى الحقيقة رجلا ، بل كانت ساقاه وقدماه كالماز ... وكان
له قرنان !!

لقد عرفته اذن ... انه « بس » أقدر الموسيقين جميعا ،
كان « بس » منهمكا فى مزماره حتى يرقص صديقاته من جنيات
الاحراج ، وبينما تلك النغمات السواحر تنبث ، أخذت الجنيات
فى تقدم وتقهقر ، فى خطوات وثيدة متمسكة أول الامر ، تطورت فيما
بعد الى لقات ودورات بطيئة نوعا ، ثم أسرع الدورات مع النغمات.

فى عنف ووحشية ، وأسرعت الاقدام الصغيرة فى الدوران حتى
أصبحت الراقصات كتلة من الالوان ، تدور وتدور بلا وعى ، وانتهى
الفرق بنفحة حادة ، وأخذت الكتلة الملونة تمود الى شكلها الاول :
والتف الجمع ثانية حول « بس » رب الموسيقى فى سعادة ومرح ،
وضيح الجمع وصخب طالبا من « بس » أن ينفخ فى مزماره ليرقصوا
مرة أخرى .. مرة واحدة فحسب ..

وقال « بس » لن يكون ذلك الليلة ... ولكن فى الغد اذا
شئتم ، أما الآن فسامضى الى الجنيات اللواتى ينتظرن عودتى ، هيا
الى دوركم يا رفاق ... وسأوقع لكم لحنا وأتم تنصرفون وتسلول
مزماره وأخذ ينفخ فيه بينما السرب المرح يظفر بعيدا ... وينهى
أغنية مرحلة .

وأوشك نصف الأدمى أن يقوم عن الشجرة الملقاة حينما فوجئ
بوجه آخر أمامه ، ولم يكن وجهه جنية من جنياته هذه المرة ، وانما
كان وجها بشريا جميلا !!!

— هل أنت « بس » ؟

— انه أنا ... أيتها الجميلة

— افك أبصرت بصندوق غريب يطفو على النهر ... فهل لك
أن تدلنى أين راح ؟

— الصندوق الذى يحوى جسد أوزيريس ... نعم ... لقد
رأيت ... لن تجديه هنا ، لقد ذهب ... لقد ذهب !!!

— ذهب ؟! أقول انه ذهب ؟! هل قدير لى ألا أرى سيدى
مرة أخرى ؟؟؟

صرخت ايزيس بتلك العبارة وقد حوت صرختها تلك ، كل
الاعياء والحزن ولوعة القلب التى فى العالم ، لقد كانت صرخة
يأس وجزع

— لا تبتشى ... فقد تستطيعين اللحاق به ، وإن قوتك .
يا ايزس لكيرة ... أنصتى ... ان الجنيات يعنين من أجلك وإن .
علمهن ليتسع حتى يشمل البحار

وبينما « بس » يتابع حديثه ذاك ، حمل نسيم المساء الهادئ ،
أغنية تتردد لطيفة حلوة ، ولكن الحزن والأسى والرثاء كانت تفيض
منها جميعا ، وكانت الأصوات تخفت وتعلو بينما يحملها النسيم عبر
الخميلة ، من تلك الجوقة الخفية ... وأخذت ايزس تصغي في ابتاهـ
حالم ؟ وكأننا كان قلبها يتشرب كل كلمة من كلمات الأغنية :

أيتها السيدة الجميلة ... أنظري ١٠٠
ان من تبحثين عنه ... ليس هنا ١١٠٠
ليس على مياه النيل الداكنة التي ترينها ١٠٠
فإذا كانت بك رغبة في العثور عليه .. فاذهي بعيدا ..
واتركي وراءك تلك المستنقعات الحزينة ..
وابحثي في قلب شجرة الحور ..
وستجدينه هناك ... ملفوفا بأحكام في أغصانها ..
هناك يرقد ضحية ست مختفيا عن الأنظار ١١٠٠
ضحية القسوة التي يندى لها الجبين ...
هناك ثوى جريمة المارد متشحة بالسواد ..

وستخرج الى النور بقوة حبك ١٠٠
لا تنهي ... ولا تضعفي ... ان واجبك لم ينته بعد ++
وان حبك العظيم سينتصر بقوة ..
وعندئذ سيعود اليه الكون ظافرا ليحكم من جديد ..
ويتلاشى الباطل ... ويبقى الحق ..
ويتحول الظلام الدامس الى نور مبين ١١٠٠
واقطع الغناء ولكن ايزس مازالت تصغي في ابتاه حالم ، فان
ذلك الغناء قد مس شعورها مساعنيا ، ودار بفكرها أنها موشكة
أن تعلم الكثير عن مولايها القعيد ، وقالت مخاطبة « بس » :

— ما هذا ؟؟؟ لقد سمعت عن شجرة الحور ، وقسوة ست ،
وهزيمة الباطل وانتصار الحق ، فهل لديك ايضاح أكثر من
ذلك ؟؟؟

— أصنى الى آيتها الربة وسأخبرك بما أعلم ، منذ أيام
انفخ الصندوق الذى عنه بحثين الى البحر وتقاذفته الأمواج حتى
استقر فى يبلوس ، بين أغصان شجرة من أشجار الحور ١١٠٠
— وهل سأجده هناك ؟؟؟

ألت ايزيس هذا السؤال بلهفة وجرع ١٠٠

— ليس العثور عليه بالسهولة التى تظنين فشجرة الحور
قد نمت بسرعة ، وطوت الصندوق فى جوفها ، فلم تعد رؤيته
ممكنة ، وقد مر ملك يبلوس بهذه الشجرة خلال الصيد ، فلاحظ
خفاطة جذعها ؛ فزرم على أخذها .

— حسنا .. استمر فى قصتك

— وفى اليوم التالى كان رجال يبلوس للأشداء ، يقطعون
الشجرة ، ويحملونها على عربة الى قصر الملك ، حيث استخضمت
كدعامة تحمل سقف البهو .

— ولا يزال الصندوق بداخلها ؟؟؟

— نعم ولا يعلم بوجوده الا أنا واخوانى .. ولن تتكلم
أما الشجرة فلا تزال هناك ترفع سقف البهو .

— لك شكر ايزيس هل هناك ما أستطيع عمله من أجلك
الأبرهن لك على اعترافى بجميلك ؟؟؟

— ان قوة ايزيس لكبيرة ؛ وأنا مشوه الخلقسة ، ليس لى وقار
لإنسان ولا رشاقة الحيوان ، والإنسان والحيوان كلاهما يضحكان

منى ويسخران من قص خلقتى ، وائنى لأبتهل اليك أن تهبنى عطفا
يجعلهما ينظران الى بعين التقدير بعد ذلك

— لقد أجيب سؤلك يا « بس » ولن يلفظ الناس اسمك بعد
اليوم الا مصحوبا باحترامهم لك ، وتقديرهم لموسيقاك
ولا يزال آلاف الناس الى يومنا هذا لا يستطيعون أن يصفوا
لك « بس » ولكنهم يعلمون أنه اله من آلهة المصور الغابرة كان
يقع موسيقاه الالهية على ناي من الغاب ...

كانت أسوار قصر الملك مليكاندر تلمع تحت أشعة الشمس في الصباح ، وكان الهواء راكدا ، لاهية فيه ، وحتى المياه المنبثقة من النافورة الرخامية ، كانت كأنها ترتفع وتتساقط في كسل وبلادة ، وكانت أشجار السنط كأنها تدعو الساهلة ليتفياوا ظلها ، وكأنما تلك السيدة التي أنهكها السفر الطويل قد استجابت لهذا الدعاء فوقفت لتستريح في ظلها الوارف ...

وتوقف كثير من المارة يسألون السيدة ذات العيون الحزينة عن أمرها ، ولكنهم جميعا لم يجدوا منها الا الصمت الطويل ، ولم قبل على ماحولها ، حتى أقبلت وصيقات الملكة ...

وتقدمت الوصيقات يستظعن أمر السيدة الغريبة ، ولم يكن سواهن يجسر على الدنو من هذه الأشجار ، الا اذا كان ذا صلة بالقصر ، وتقدمت منها احدهن ، وكانت جميلة مشرقة ، لا تتعدى الرابعة عشرة من عمرها وسألتها :

- هل تبحثين عن أحد هنا يا سيدتي ؟

- نعم ... ان سيد الناس هنا ... وقد جئت ألتصمه ...

- ان الملك في رحلة للصيد خارج بيلوس .

قالت الفتاة ذلك وقد ظنت أن السيدة الغريبة تبحث عن

سيدها الملك

- أنا لا أتكلم عن ملككم فان الغريب يبحث عن غريب آخر استقر بينكم منذ زمان طويل ، ولكن أحدا لا يعرف ذلك ، رغم أن اسمه يتردد على كل لسان ...

وعندما لاحظت نظرة الحيرة والتساؤل على وجه الفتاة تابعت كلامها :

— تعالى هنا وحديثي عن ذلك المكان ...

وكانت الفتاة كآى أثنى على استعداد لأن تتحدث وترثر ،
ويهد لحظات قصار ، كانت تتحدث الى انسيده الغريبة وكأنها تعرفها
منذ فجر حياتها ، وعندما جلست الفتاة أمامها أخذت ايريس — لأنها
كانت نفس السيدة الغريبة — تعبت فى شعرها وأخذت تضفره فى
ضفيرة كبيرة كادت أن تصل الى الارض ، وسألها الفتاة :

— من تكونين ياسيدتى ؟...

— أنا راعية شعبى وطيبته ...

ولاح على الصبية مرة أخرى أنها شدهت ، ولكنها سألتها :

— وهل يمكنك العناية بشخص مريض ؟...

— اذا شئت ذلك ...

وظلت الفتاة مسترسلة فى التفكير ، وعلى حين فجأة دق ناقوس
كبير ، فهبت واقفة وقالت :

— يجب أن أنصرف الآن ... هل ستقيمين هنا أم ستواصلين

الرحيل ؟؟...

— عندما تسلم الشجرة الاله الراقد فى جوفها سأرحل ... !!

ونظرت اليها الفتاة فى رثاء واشفاق ولكن الكلمات كانت
لا تعيد فى هذا المقام ، وأقدها من هذا الموقف صوت الناقوس ،
يدعوا للمرة الثانية ، فودعتها فى عجلة وانصرفت .

وكانت الفتيات الباقيات قد انصرفن ، فلما وصلت الفتاة الى
الجناح الملكى كانت اثنتان من الجوارى على وشك العودة للبحث
عنها ، فقالتا لها ان الملكة تريد التحدث اليها .

وقالت لها الملكة عندما رأتها : « لقد تأخرت يا مليتا ؟ فهل كنت تلعبين وحدك ؟ فلم ترجمي مع أخواتك ؟ أو هي ؟ » ووقع بصرها على الضفيرة التي ضفرتها المريس في شعر الفتاة فأضافت « هل اهتمامك بزيوتك هو الذي استغرق معك كل هذا الوقت ؟ ... من فعل ذلك ياطفتي ؟ »

ولم تنتظر اجابة على ذلك بل قالت « انك لستطيعين بمفردك أن تضفري شعرك هكذا ... »

وقالت مليتا جازعة « ان سيدة عند أشجار السنط هي التي ضفرت شعري ، وأنا أتحدث اليها ، لقد قالت انها طيبة ، واني لأسأل اذا كان في امكانها تمريرى الأمير يامولاتي ؟ »

وصاحت الملكة ساخرة « طيبة ؟ ... فعلا ... أنتظنين أن دعيمة متجولة تستطيع أن تنجح حيث أخفق أطباء البلاط جميعا ؟ ... ولكن بأي شيء عطرت لك شعرك ؟ ان غير الورود البرية والبنفسج نفوح من الضفيرة ، وتلك الزهور لا تحتل شمس بيلوس المحرقة ... من تكون تلك المرأة ؟ » وأجابت الفتاة « لقد قالت انها راعية شعبها ، وحين سألتها ان كانت ستقيم هنا قالت : (عندما تسلم الشجرة الآله الرائد في جوفها سأرحل مرة أخرى ...) أما ماتعنيه بهذا القول فلم أستطع فهمه يامولاتي ، وربما تفهمين ماقصده يا صاحبة الجلالة .

ومن الواضح أن عشروت ملكة بيلوس لم تفهم أكثر مما فهمت الفتاة ، ولكنها في كبرياء الملكات لم تصرح بذلك ، واستغرقت لحظة في تفكير عميق ، ثم قالت للفتاة « ابحنى عن السيدة الغريبة وأحضرها الى هنا . »

وأسرعت مليتا فرحة الى حيث تجلس السيدة الغريبة في ظل أشجار السنط ، فوجدتها تحلق في مياه البحيرة في ذهول ، كما وجدتتها أول مرة ، فقالت لها ان الملكة ترغب في رؤيتك ، فهل تذهبن اليها ؟ وكان الفتاة أدركت أن السيدة الغريبة من طينة غير طينة البشر فأصغت

برهة لم تدرك مداها فلم تقل لها ان الملكة أمرت بحضورها ، وكأنها أحست أن هذه السيدة لن ترضخ حتى لأوامر الملكة .

وقالت السيدة الغريبة بعد فترة قصيرة « سأذهب اليها فدليني على الطريق » وسارتا معا عبر الممشى الاخضر حتى المدخل الضخم ، الذى يؤدى الى القصر ، وسرت بجسد ايزيس قشعريرة عندما خطت عبر الدهليز الطويل ، لأنها أحست أن الكنز أصبح فى متناول يديها .

وفى القصر وقع بصرها على دعامة فخمة تحمل السقف ، لقد كانت جذع الشجرة الذى تحدثت عنه الجنيات ، كانت مستقيمة وثابتة ، ولكن الأغرب من ذلك تلك الأشكال البارزة على اللحاء ، فقد كانت تبدو عليه وجوه أفاس وحيوانات ، داخل اطار من أزهار اللوتس ، ويعلم ذلك جميعا من الناحية التى تواجه الباب ، تاج الشمال والجنوب ، ولما اقتربت ايزيس من الدعامة ، تبين لها أنها نمو طبيعى فى اللحاء ؟ ولا شك أن تلك الغرابة وهذا الجمال هما اللذان أغريا الملك ميكائيل ودفعاه الى قطعها وحملها الى قصره .

ووقت ايزيس لحظة دون حراك ، وشحب لونها ، وارتعدت أطرافها ، ولكنها تماكنت نفسها أخيرا فهنا يرقد سيدها الحبيب ، وعما قريب ستنال جزاء بحثها ثم تستريح ، ولما استدارت مليتا لترى سبب تلبسها تماكنت ايزيس نفسها وسارت الى الأمام تتبع الفتاة ؟ خلال تيه من الحجرات .

وكانت ثروة الوصيفات والجوارى تستحيل الى همس خفيض حين تمر بهن ايزيس ... هل كان ذلك الوجه الملكى مجرد وجه امرأة عادية .. ؟ وهل يمكن أن تكون جوابة تذرع الأرض ... ؟ ولكن ايزيس لم تلق بلالا اليهن ، وبعينين تتطلعان الى السعادة المقبلة ، التى انبثقت مشرقة أمام ناظريها ، تقدمت الى مخدع الملكة .

ونظرت اليها عشتروت فى دهشة ورهة معا ، فلم تكن السيدة الغريبة من النوع الذى كانت تنتظره ، وماتت على شفيتها ألفاظ

الكبرياء التي كانت قد أعدتها للترحيب بها ، وسقطت حزمة من أشعة الشمس فجأة على شعر إيزيس الأحمر ، فاستحال الى تاج من لهيب ، وقد كان هذا المنظر ، وما أيقظه من ذكريات نائية باعثا لها على ادراك بعض الحقيقة ، ولذلك فانها حينما تكلمت كان صوتها رقيقا ، وفيه الكثير من الشفقة وقالت :

— ان هذه الفتاة أنباتنى أنك طيبة ، فهل تستطيعين أن تمرضى ولدى وتعالجيه ؟

— أمرضه .. ؟ نعم ، أما أن أعالجه أو لا .. فهذا يتوقف عليك أنت ..

— أحضرى الأمير الى هنا .

أصدرت الملكة هذا الأمر الى مليتا ، وسألت إيزيس :

— من تكونين ؟ ومن أين أتيت ؟ لقد أتيت معك بأريج أزهار الربيع الذى أعدهه فى جبال وطنى ، فهل أتت من تلك الأرض .. ؟

— لقد جئت من أرض بعيدة بأقصى العالم ، وقد عشت مع زوجى سعيدين زمنا طويلا ، ثم قضى عليه فى قسوة ، وأبعدت أنا عن تلك الأرض ..

— ذاك من نعمة ياسيدتى .. لقد ذقت أنا أيضا مرارة الحزن .. !

ودخلت مليتا تتبعها مربية تحمل الأمير على وسادة ، وسألت عشروت بلهفة وهى تقدم الطفل الى إيزيس « هل تستطيعين معرفة دائه ؟ انه يذوى » وأمره أطبائنا لا يملك له شيئا ، أعيدى إليه الصحة والقوة ولن يرفض الملك لك طلبا ، وستصحبك دائما دعوات أم محمد لك هذا الصنيع » .

وجالت فى مآقيها دموع حرار

وحملت إيزيس الأمير الطفل على ذراعيها دون أن تفوه بكلمة ، وصدر عن الطفل أنين كان به ألما ، وارتسمت علامات الألم على ذلك

الوجه الجميل الشاب ، وحلقت ايزيس فى العينين المغمضتين وقد
وضعت أذنها على حاجبيه ، ياللمعجزة ... ان العيون المغمضة تتفتح
... وهذه ابتسامة باهتة ترسم على الشفتين البيضاءين ..

وخلعت ايزيس عن الطفل برنسه الحريري ، وأخذت تمرر يدها
الرطبة على انجسد الهزيل ، وأخيرا وضعت اصبعها فى فمه فأخذ
يرضعه بلهفة لدقائق عدة ثم أعادته لأمه قائلة لها ببساطة : « سيصبح
ابنك أحسن حالا » .

ولم تمض أيام ثلاثة حتى كان الطفل يجرى هنا وهناك ، فى مرح
الطفولة وبراءتها وعدم اكترائها بشئ .. !

وجعلت الملكة ايزيس على رأس مريات القصر ...

وأخذ الأمير ينمو ويزداد رشاقة يوماً بعد يوم ، وكان ذكاؤه وقوة جسمه موضع إعجاب الجميع ، لقد أذهته ايزيس حيث أخفق الأطباء في إقاده ، وكان يبدو أن السيدة قادرة على تنمية مداركه ، كما نمت جسمه ، وكان الأمير الطفل يقضى النهار برقعة المريسات الأخريات ، ولكنه كان يقضى الليل برقعة ايزيس ، فكان ينام فى مخدعها حيث لا يسمح لأحد بمقابلته .

وسارت الأمور على هذا المنوال بضعة أيام ، بدأت بعدها الشائعات تتوالى عما يحدث فى ظلمة الليل من أفعال غريبة فى غرفة القادسة الجديدة ، فالأصوات الغريبة كانت تنبعث من خلف الأبواب الثقيلة ، وكانت تشبه ضحكات طفل تمتزج بصوت فرقعة اللهب ، وكانت الأضواء البراقة تنبعث من تلك الغرفة حين ينبغى أن يكون الجميع نياماً ، وكان الى جانب ذلك كله صوت اثوى رقيق ينبعث صافياً جميلاً كرنين أجراس المساء ، يمله هواء الليل الساكن من بعيد .. وكانت الأضواء تتلاشى ، والموسيقى تتوقف ، عندما تظرق الباب مريم الأمير السابقة ، وكانت عندما تدخل الغرفة تجد الطفل والمرية غارقين فى سبات عميق ...

وهكذا سخر القدر منها مرتين ... ولم تجد بدا من اخبار الملكة بما يحدث واندفعت تروى قصة طويلة ، وهى فى أثناء ذلك بين الخوف والغضب : « لست الوحيدة التى ترى تلك الأشياء وتسمعها يا ملكتى .. ! ان صيفاتك جميعاً يؤكدن ما رأيته » ونأى أيضاً ، حارس الردهة ، يقول انه منذ وصلت السيدة الغريبة ، وهو يرى عندما يتصف الليل ، طائراً ينبعث من غرفتها يحوم حول الدعامة المنقوشة التى فى البهو ، وهو يرسل فى أثناء تحويبه صرخات حزينة ، وقد

حاول ناي ذات مرة أن يزجره فوجد نفسه لا يستطيع حراكاً ، بينما أخذ الطائر ينظر إليه بعينين حزبتين ، ويقول ناي ان عيني الطائر هما نفس عيني المرأة الغريبة .

وقالت الملكة « أقاصيص لاتدل الا على الغباء ... » ومأتأكد بنفسى من كذب هذا الكلام » ، وفى الليلة ذاتها أخفت الملكة تصهاقى مخدع ايزيس ، وقد حدثها نفسها بأن ما تعمله لايلق بها كملكة وأنها ضميرها لأنها تتجسس على المرأة التى أسدت اليها الكثير ، فضلاً عن أنها ضيفتها ، ولكن قصة المربية أفلقتها ، وألحت عليها عاطفة الأمومة فى أن تحمى طفلها من كل شر محتمل ، وأبصرت ايزيس تدخل غرفتها فتقبل الطفل النائم ثم تعود الى فراشها .

ومرت الساعات فى ببطء ، ولم يحدث شئ ما ، وبدأت الملكة تفكر فى أنها كانت من الغباء بحيث أصغت لما يرويه خدعها من أقاصيص وكانت فى مخبئها فى وضع غير مريح على الاطلاق ، ولن تملك فرصة الخروج من هذا المخبأ قبل حلول الصباح ...

وأخذت الريح تن فى الحلاج ، ثم ترتفع تلك الأنات فصل أحيانا الى مايشبه المويل ، وكان ذلك نذير عاصفة مقبلة ، ولقد كان من العقل أن تذهب عشروت فى هدوء الى فراشها بدلا من الاستماع الى أقاصيص العجائز ، وبدلا من أن تفقد منزلتها فى نظر حاشيتها ، ولفضلا عن ذلك فقد خاطرت باتخاذ خطة العداء نحو المرأة التى تدين لها بالفضل العميق .

وعلى حين فجأة اهتز كل عصب فى جسدها القلق ؛ وتوقعت حدوث أمور جلية ، فقد انبعث اللهب من كل مشعل فى الغرفة ونظرت عشروت من مخبئها ، فرأت ايزيس واقفة وسط الغرفة وقد حملت الطفل على ذراعها ، وكان شعرها الطويل مرسلا ومنسدلا على جسدها وعلى الطفل ؛ ولكن ما هذا ؟! ان اللهب لينبعث من أناملها ومن كل شعرة فى جسدها ، لقد كان وجهها مضيئا كقرص الشمس فى الظهيرة ، وكانت عيناها تلتزمان كالنجوم فى السماء ..

وكان الطفل يضحك ويصيح مرحا ، وكان اللهب يحدث فرقة
وأزيرا رهيبين ، وإيزيس تغسل الطفل العارى فى ألسنة الحمراء ،
ومن بين هذه الأصوات ارتفع صوت إيزيس وهى تترتل أنشودة بلسان
لم تفهمه الملكة ...

وظلت الملكة صامئة فى جزع مدة قصيرة ، ثم صرخت صرخة
رعب ، واندفعت من مخبئها ولكنها قبل أن تخطو خطوات ثلاثا ، كان
الظلام قد شمل الحجرة من جديد ، وخبث المشاعل الا مشعلا صغيرا
ظل مضيا اللبل بطلوه ، وظلت إيزيس واقفة وسط الحجرة والطفل
نائم بين ذراعيها ...

وفى غمرة الظهور من هذا التغير المفاجئ ، لم تستطع عشتروت
الا التحديق فى السيدة الغريبة التى استقرت عيناها بدورها على الملكة ،
وأخذت تحصنها وتعمقها وبعد وقت طويل ! سألتها الملكة فى صوت
متحشرج من الخوف « من تكونين . ؟ » وومض البرق داخل الغرفة
وثبت فوق رأس إيزيس وقتا قصيرا ، قبل أن يقطع سماء الغرفة ،
ويتركها فى ضوء خافت ...

وقالت إيزيس « أيتها المرأة المنكودة ، انك خفت على طفلك كما
تخاف أى امرأة ، ولكنك أضعت عليه الخلود بخوفك هذا ، فى هذا
المساء كنت سأعبر به مرحلة الغناء ، وأكرسه كأحد الآلهة ولكن
اندفاعك هذا ؟ أفسد ترتيل وتلوينى ؟ ولن أستطيع بعد الآن أن
أجعله من الخالدين ، فخذيه ... لن يكون الخلود من نصيبه ...
وستحل به الشيخوخة ويذهب به الموت كالآخرين ... وهمت الملكة
بعد ذلك مرة أخرى « من تكونين . ؟ »

وتوالت الومضات بعد ذلك ، واحدة بعد أخرى ، من النور
المبقرى ، فجعلت الغرفة أشد اشراقا منها فى النهار ، وكانت ألسنة
الليهب تمتد وتراقص حول الوجه الغامض ، مما زاد فى رعب الملكة ،
ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد ، فبينما الملكة تحدث فى إيزيس بفرع
وقد جحظت عيناها ، وابيض وجهها ، اذا بأشعة الضوء الحية تتجمع

وتهبط على رأس ايزيس مكونة كرة من النار ؟ وابعت منها أفاع
ذوات عيون براقه ، تمتد رموسها وتخرج ألسنتها ، كتلك الأفاعى التى
ج مصر ، واستحال شعر ايزيس النحاسى الى أجنحة من الحمره
البراقه ، والزرقه المشوبه بالذهب ، وكان وجهها رقيقا عطوفا كما هى
دائما ، ولكن كانت تبدو عليه مسحة من النبل الهادى ، الذى لا يرى
الا على وجوه أولو ...

ولقد سمرت قدما عشتروت لهذا المنظر الرهيب ووقفت مغزعة
بازائه ، وفى اللحظة التالية انفجرت العاصفة وأحدثت رجات عنيفة ،
هزت القصر من أساسه ، وأطبقت الملكة ذراعيها على طفلها وأنت أنه
والهة ، حوت كل ماتكن من لوعة ، وضمت الطفل الى قلبها ، وانطلقت
من العرفة لاتلوى على شيء ..

جلست ايزيس الى النافذة المنخفضة تحملق في أشجار السنط ،
التي تمتد الى سيف البحر ، وكانت العاصفة التي هبت في الليل الماضي
قد انجبت ، ولكنها خلفت سحبا متناثرة هنا وهناك ، الى الشمال
والغرب ، وقد تجمع بعضها في كسف كبيرة قاتمة ؛ وكانت الشمس
تطل من فرجة بين الغيوم ، وكانت أشجار السنط مغمورة في حطام
العاصفة وبقاياها ، وكانت الأزهار الجميلة ملقاة في الوحل ، وقد
مزقتها الرياح السافيات ، ولكن ايزيس لم تلق بالا الى ذلك كله ، فإن
أفكارها كانت تدور حول أشياء أهم من ذلك ... ولم لا ينتهي بحثها
اليوم ... ؟ انها تعلم أن الملك سيبحث اليها رسولا ، وهي الآن تنتظره
بفارغ الصبر ، وهي تفكر في الأيام السعيدة المقبلة ..

ولم يكن مليكندر كمادته ؟ فقد عاد من رحلته للصيد ، ليجسد
أمامه قصصا خرافية تروى عن المربة الجديدة ؟ وما ألقى راحته أن
رسالة وصلته في منتصف الليل تقول ان الملكة منطوية على نفسها في
فزع شديد ، وتطلب وجوده الى جوارها ، فلما وصل الى جانب
فراشها استطاعت في أول الأمر أن تتكلم بسرعة عن ايزيس والبرق ،
والأجنحة الذهبية والأفعى اللامة ، وعن الرباط والنار ، وكثير مما
لم يستطع مليكندر أن يفهم منه شيئا ، واستطاع بعد كثير من الأسئلة
أن يفهم أن المربة التي عالجت الطفل بنجاح ليست في نظر الملكة ، الا
احدى الرباط ... ويجب أن تلقى التكرم اللائق بها ثم تمضى لحال
سبيلها ...

ولو قد طلب من مليكندر أن يكرم أميرا من جيرانه ، اذن لكان
الأمر ، واذن لاستطاع أن يقوم بذلك على أكمل وجه ، فيخصص يوما
لصيد التماسيح وأفراس البحر ، فضلا عن الحفلات الرائعة الضخمة ..

ولكن تكريم ربة في ضيافته أمر لم يألفه من قبل ...

ولكنه كان أمرا لا مفر منه ، وبعد أن ذرع الغرفة عدة مرات ،
قرع قطعة من المعدن معلقة على الحائط بشدة ، وقال للخادم الذى لى
النداء « أدع الوصيصة مليتا ... » ثم قال لنفسه « سأرى تلك السيدة
الغريبة ، اذا كانت ستلبى طلبى ، ولعلى أستشف منها شيئا يهدينى
الى تصرف معقول ... » ولما جاءت مليتا طلب منها أن تستأذن له فى
رؤية ايزيس ، اذا لم يكن لديها مانع من لقائه ...

وفى غمرة من الدهشة ، ومن عدم الفهم لما يحدث فى تلك الليلة
من أحداث غريبة ، طرقت مليتا الباب فى خوف ، وبعد أن أذنت لها
ايزيس فى الدخول ، دخلت الغرفة وهى تتعثر ، وتقدمت نحو النافذة
حيث تجلس ايزيس ، وبعد أن سكن روعها قالت فى جهد : « ان الملك
يود أن يعلم اذا كان فى استطاعته أن يراك ؟ » وقالت ايزيس بهدوء
« نعم ... أنبئى الملك أنتى سألقاه هنا ... »

وعندما دخل الملك الفرقة ركم ثم تناول اليد المدودة اليه وقبلها
فى خشوع ، وهكذا أدى ماعليه نحو الربة التى كانت ضيفته ..

وبدا يقول فى أناة « ان الملكة ليست على مايرام ، فقد أرهقتها
أحداث الليلة الماضية ولكنها طلبت الى أن أشكرك على عنايتك بطفلنا
الصغير ، وأن لسانى ليعجز عن التعبير عن امتنانى لما أظهرت من عطف
بتشريفك لنا ، اتى لأعلم من أنت ولكن قبل أن ترحلى ، أتوسل
اليك أن تقولى اذا كنت أستطيع أن أقدم لك أية خدمة ... »

وأجاب ايزيس ، وقد أثرت فيها لهجة الملك ونبل طريقتيه ،
وبساطة كلماته « مليكاندر انك متعلم الكثير ، ولكنك لن تشير الى
شيء مما تعلم ... ولكى تطمئن ، أقول لك ان الملكة ستكون أحسن
حالا ، أما عن ولدك الأمير ، فان اسمه ومجده سيعمان فى المستقبل
أرض بيبيلوس جميعها ، وأما عن قصى فان ساعة رحلى قد دنت ،
ولكن قبل أن أمضى أطلب منك منة لاتنسى ... »

فقال الملك « اعتبرى طلباتك مجابة منذ الآن .. » فقالت ايزيس
« الدعامة الموجودة في البهو الكبير ... اثنى أطلبها منك ... »

ولم يكن الملك يتوقع ذلك الطلب ، فان الدعامة قد كلفته كثيرا
لاعدادها حتى وضعت في مكانها ، ولكن تردده لم يكن لهذا السبب ،
فليس لهذه الدعامة مثيل في العالم ، والناس يأتون من بعيد ومن قريب
ليشهدوا الرسوم المنقوشة على اللحاء ، ولم يطل تردده فقد أعطى
كلمته واتمى الأمر ... ، ولو أن ايزيس طلبت قصره بما حوى فلن
يرفض لها طلبا ... ، وأجاب « انها سترفع من موضعها في الحال »
وعقبت ايزيس على اجابته « ان قيمتها لديك في مظهرها الخارجى
ولكننى أريد ما بداخلها ، وهكذا قد تشبع رغباتنا كلينا ... »

واقضى ذلك النهار كله ، والعمال منهمكون في رفع الدعامة
الشجرية ، وفي الصباح التالى حضرت لتسلمها بحضور الملك والملكة ،
ولكنهم حينما أرادوا نقل الدعامة الى القارب الذى صنع من أجلها ،
طلبت منهم ايزيس أن ينتظروا ، وتناولت مكينا طويلا ، وسجتها على
الجذع ، حيث هو ملقى فسقط اللحاء ، وهناك في قلب الشجرة كان
أعجب ما أبدعته يد صانع ، وأغرب ما وقعت عليه عين انسان ... ان
صندوق ست كان هناك !! ...

وظفت على ايزيس موجة من الازعاج لمدة وجيزة ، وغام المنظر
أمام عينيها ولكنها تغلبت على ضعفها وتناولت قطعة من الكتان الأبيض
التنظيف ونشرتها ووضعت فيها قطع اللحاء ، ثم صبت عليها الزيت
العطري ، وكانت في خلال ذلك تتلو كلاما غريبا غامضا ، ثم التفت الى
الملك قائلة : « ان هذه القشور المقدسة قد حفظت جسد اله ، فاحفظوها
في مكان يليق بها ، وهكذا تحتفظ بكنزك يا مليكاندر ، وطالما أنت
وشعبك تكرمونها ، فلالله راض عنكم ، وعن أرضكم ، فاسمع
وتذكر ... »

واقیم احتفال جليل أثناء النهار نقلت فيه الشجرة الى معبد
المدينة الكبير ، وأعيدت أجزاء الشجرة الى ما كانت عليه من قبل بأمر

الملك ، ثم رفعت فوق المذبح ، حيث ظلت بضع مئات من السنين ،
موضع تكريمهم وتقديسهم لما أحاط بها من معجزات •

ورفع اثنا عشر من الحمالين الأثداء ؛ ذلك الصندوق المعدنى
وحملوه الى القارب يتبعه الملك والملكة ، ورجال الحاشية الى الشاطئ
وقد صحبوا الربة حتى تودع أرضهم ، وقد تجمع كذلك على الشاطئ
جمع غفير من الناس .

وكان القارب مكسوا بنسيج وردى مذهب ، وكان شراعه
الكبير من الحرير الأسود ، ونقل الصندوق بلطف ووضع فى مكانه
من القارب ، بين مظاهر التقديس والتكريم ، ولما تم كل ذلك دارت
ايزيس نحو الملكة التى كانت ممسكة بالأمير الصغير ، فتناولته بين
ذراعيها ، وربت يدها على جبهته ثم قبلته قبلة طويلة مفعمة بال عاطفة
وقالت لأمه فى بساطة ، وهى تعيده اليها « لقد أحبيته كثيرا ... » ثم
خطت الى القارب ووقفت عند نهاية الصندوق ، ونشر الشراع الأسود
الكبير ، ونزعت سلاسل المرساة ، وانطلق القارب الملكى تدفقه أيد
خفية ...

وهكذا انتهى بحث ايزيس !!...

وصعد القارب على المجرى بين أعواد البردى ، تطلله أغصان
الصفصاف المتدلية ، وأغصان اللبخ ذات الأذرع الهزيلة الكثيبة ، وقد
امتدت فوق المياه ، وكانت إيزيس تنف في مؤخرة القارب وعيناها
مثبتتان على التابوت الراقد أمامها في ظل الشراع الأسود الحزين ،
وكان الطبيعة كلت تشاركها أحزانها فتكاثفت السحب في السماء داكنة
لاحية فيها ، وسكنت الحياة من حولها فلا صوت ولا حركة فقد
هجرت الحياة تلك البقاع الخربة ، وحلت بها الوحدة الخرساء ،
وزحمها الموت الرهيب ***

وصل القارب الملكي مع الغروب الى بقعة رملية من الشاطئ.
منحدرة الى النهر ، ورفعت إيزيس رأسها - لأول مرة منذ أبحر
القارب - ونظرت الى السماء ، وبأشارة من يدها اتجه القارب الى
أجمة كثيفة من الغاب الطويل ، وقفزت إيزيس على الشاطئ ، وأدارت
بصرها فيما حولها ، فلم تر شيئا سوى الرمال ومياه النهر الداكنة ،
والسمااء الملبدة بالغيوم ، وسوى فخلات ضاربات في الجو على
مبعدة ***

وعادت إيزيس الى القارب وفحصت التابوت ، ان طول مكثه
في الماء قد أتلف خشبه ، وجعل أربطته المعدنية تصدأ ، وأعملت آلة
حادة في الغطاء بحركة سريعة منفعة ، وأدخلت يد مجداف في الثغرة
التي أحدثتها ، وضغطت عليها فتفككت الأربطة واحدا بعد الآخر ،
وتحرك الغطاء الثقيل ***: كانت إيزيس تعلم يقينا ماذا بداخل الصندوق
ذلك أمر لا يحتمل الشك .. ولكنها حين وقع بصرها على الوجه
الحبيب ، وعلامح أوزيريس التي لم تغبر عما عهدته قبل أن يفارقها
آخر مرة ، لم تستطع أن تحبس تنهدة عميقة نلت عن صدرها ، ولأن

تمسك الدموع التي انحدرت على خديها ، لقد انتصرت عواطف المرأة
على وقار الربة ...

وأخذت تحرق في وجهه طويلا ؛ وذكريات عمرها السعيد
تزحم رأسها ، أمن الحق أنها لن تستطيع أن تنصت الى صوته الحبيب
مرة أخرى ؟! ألن تستطيع أن تنفرد به أبدا ؟! ربما يكون ذلك في
بلاط طيبة ، ولكن ... أبدا ... لا . لم يحن الوقت لنقال هذه
الكلمة ...

وحملت الجثة في رقة الى الشاطئ ، ومددتها على الرمال البيضاء
ثم خلعت بعد ذلك رداءها وأرسلت شعرها المتسوج ، فكساها بجلباب
من الذهب الأحمر ، تعت أشعة الشمس الغاربة وانحنت ثلاثا في
خشوع لاله الشمس « رع » ثم جثت على الرمال بجانب جثة الملك
الميت وذراعاها ممدودتان ، وقد أتجه وجهها الى الغرب .

وخالطت نسيم المساء أغنية باكية ، في رقة ذلك المكان ، كانت
ترتفع في لطف ثم تنخفض في لطف ، ثم تنساب في غف وعاطفة ، ثم
تتلاشى في حزن لانهائي ، ويتبع ذلك سكون حزين يقطعه صوت
ايزيس وهي ترتل التعاويذ ، والكلمات السحرية التي تعلمتها في
العصور الخوالي ، وأخذت عيناها تغمضان في بطل ، وهي مسترسلة
في الغناء ، وساد السكون ذلك المنظر مرة أخرى ، فلا نفس يتردد في
ذلك الجسد الذي كان يفيض حياة وشبابا ، ولا عضو يختلج من
أعضائه ، وسكن النسيم ، ولاح كأنما المياه في النهر قد توقفت عن
الجريان ، وتلاشى خفيف الغصون وهمس أوراق الغاب ، وكان
ايزيس ميتة كالملك الراقد الى جوارها ، وكان الطبيعة قد شاركتها
ذلك الموت ...

ولكن ماهذا ؟! لقد انتفض من جوارها كائن حي آخر ،
يحملة جناحان رقيقان ... وأخذ يحوم حول الجسدين الراقدين ثم
استقر بجانب جسد أوزيريس ...

فهل كان ذلك الكائن هو ايزيس...؟ يقينا فقد كان وجهه
وجهها... وكان قوامه في رشاقة قوامها، ولكن لا... فهذا الوجه
وجه ايزيس حقا ولكنه اكتسى عظمة وجلالا، لا يعرفهما أبناء هذه
الدنيا؟ وهذا الجسم جسمها ولكنه نوراني مقدس... لقد انتصرت
الربة بوقارها على عواطف المرأة...

وحولت عينها الى الجسد الملقى على الرمال، وقد أقعمتا بلون
من الشفقة والحب لا تعرفه عيون البشر، ولا تستطيع عنه تعيرا ولاحت
على ذلك الوجه علائم قوة واعتزاز.. وارتفعت الربة بجناحيها وحلقت
فوق أوزيريس، وانطلق صوتها في همهمة تشبه تلك التي كانت ترتل
بها من قبل، فكانت أشبه بهدير بحر بعيد، وكانت ضربات جناحيها
الرقيقين كمنهدات الأرواح في الليل البهيم...

ونظرت الى أعلى فرأت اله الشمس وقد استقر بقاربه على قمة
تل بعيد، قرصا فاخرا من الذهب... ولقد حلت الساعة الفاصلة
وعليها الآن أن تعلم مدى قوة ذلك العلم المقدس الذي أخذته عن رع
في العصور الخوالي... لقد أفلحت برقاها وترايلها في أن تشفى
الكثيرين ولكنها لم تحاول قط أن ترجع شخصا من وراء الحياة الى
هذه الدنيا... ان غلطة واحدة، أى خطأ في الكلمات أو النغمات
يخالف مارسمة الرقية، كميل بأن يذهب أدراج الرياح بكل الآلام
والمتابع التي حملتها صابرة طوال الشهور الماضية...

ولم يدم تردها الا لحظات معدودات، ولم يلبث صوتها أن
انطلق لا رعشة فيه ولا تقطع. ولم تختلج عضلة من عضلات وجهها
رهبة من تلك اللحظة القادمة، ورفعت يديها الى أعلى، واتجهت
بعينها الى الغرب، فانعكس في أعماقهما قرص الشمس الفاربة، وفي
اللحظة التي غاب فيها قرص الشمس وراء التل، منفلتا الى وادى
توت، صاحت ايزيس بأعلى صوتها مرددة اسم « رع » الخفى...
الاسم الذي تعلمته ايزيس وحدها دون الآلهة والناس... الاسم
الذي يحكم العالم.

وحدثت المعجزة فان القارب الذى ظل ملايين السنين يختفى
خلف ذلك التل ، ظهر مرة أخرى على قمة التل وكان اله الشمس «رع»
واقفا بنفسه فى القارب وقد حول وجهه نحو الجماعة الصغيرة على
رمال الشاطئ ، وانتشر فى السماء لهب أحمر كثيب صبغ الأرض
بالدماء ... ثم اختفى القارب الخالد وراكبه الرهيب ، وشملت الكون
ظلمة ساكنة تتناسب وجمال الموقف ...

ولما تلاشت النجوم فى القبة الصافية ، وأرسل القمر أشعته الفضية
على النهر ، كافت الربة المنجعة قد اختفت ، وبقي على الشاطئ
محلوقان يتنفسان بلطف على الرمال ، جنباً الى جنب ... وكافا
يتحدثان فى رقة وحنان عن النصر الذى أحرزه الحب والخير على الشر
والكراهية ...

ومر العامان التاليان على ايزيس وأوزيريس في عزلتهما ، وهما
جد سعيدين ، تضرهما المسرة الدافقة ، كانا يسكنان كوخا صغيرا
أقاماه من أغصان الشجر وأعواد الغاب ، وكان النهر يسخو عليهما
بالأسماك والطيور ؛ فبطعمان هنيئا مريئا ؛ واستلصحا أوزيريس قطعة
من الأرض بين الأشجار ، وزرعها قمحا فكانت تغل محصولا وفيرا ،
ولما ولد طفلهما حورس ، كان كأس سعادتهما مترعا يكاد يفيض .

وكانا يجلسان في المساء خارج الكوخ ، فيعكف أوزيريس على
نايه يتنفس فيه ، وتصحبه ايزيس في أغنية تنيم بها الطفل المستلقي في
حجرها ، أو يركبان زورقا في نزهة نيلية ، حيث يدفع نسيم المساء
شراعهما في رقة وسكون ، وكثيرا ماكانا يتحدثان بهدوء عن المستقبل ،
وعن الانتقام من ست ليستخلصا منه ملكهما ، وكانا أثناء ذلك نعمان
برعاية حورس الصغير ، وهو يتعثر في خطاه ويتقلب على الرمال .

ومن الحق أنها كانت حياة سعيدة ، حياة راحة ومرح ، وقد ولت
مسنوات الكفاح عن طيبة ، ولكنهما كانا يتوقان الى الرجوع اليها مرة
أخرى ، ولم تكن رغبتهما تلك من أجل نفسيهما ... لا ... ولكن
لأنهما أحبا تلك الأرض الطيبة ، وأحبا أهلها الذين يشون تحت نير
ذلك المارد القاسي ست ، الذي حالف الأثيوبيين البرابرة ، وحكم
مصر يلبمن حديد ، وقد كان الجميع يكرهونه ويتوقون الى التخلص
منه ، ولكن قبضته كانت قوية ، وكان بطشه شديدا ...

كانت ايزيس وكان أوزيريس يتحدثان في ذلك الأمر ، وقلباهما
يتمزقان من أجل شعبهما ، وما يلقي من أذى واذلال ، وكانما يديران
لايقاده لا بأيديهما ، ولكن عندما يشب ذلك الطفل المرح الذي يتعثر

على الرمال ، ويبلغ مبلغ الرجال عندئذ مستكون مباعه لا تقام ، والاخذ
بالتأثر

وهكذا مرت الأيام فالشهور ، وحالت الشهور الى سنوات ،
والطفل ينمو وتظهر قوته ، وكان كثيرا ما يتسلق بصيد الأسماك من
النهر بحرية ، صنعها له أبوه ، أو ينصب بمهارة شبكا لاصطياد البط
البري الذي يتخلل الغابة وقد لقنه أبوه استعمال الحراب والهرات
الثقيلة منذ الصغر ، كان حورس فخورا بمقدرته في هذه الفنون ؟
فخورا باعجاب أمه بمهارته ؟ لقد كان يدير الهراوة حول رأسه حتى تصبح
في سرعة البرق ، كان يرمى بالحربة قدما فتصيب قلب الهدف ، لقد
كان محاربا حقا ...

ولكن قطرة مرة ، كانت تفسد على ايزيس كأس سعادتها ،
نقصد كان أوزيريس يخرج في رحلات طويلة للصيد ، محتجا بالحاجة
الى مؤنة جديدة ، وكان يغيب في رحلاته هذه يومين أو ثلاثة ، تضييها
ايزيس في انشغال وقلق ، حتى تسمع صوته المرح يصفح أذنيها عبر
المستنقع ، وعندئذ تتناول الصبي بين ذراعيها وتسرع للترحيب بمقدم
ذلك الرحالة ، والهدوء والفرح يشعان من مقلتيها ...

ولم يوفق أوزيريس ذات مرة في العودة في الليلة التالية كمادته،
وهي أطول مدة قضاها بعيدا عن زوجه ايزيس وولده حورس ، وارتفع
البدن ولم يحضر أوزيريس ، فمارت الى انهر وجعلت تبحث عنه على
الضفة ، ولكنها لم تقع له على أثر ...

ومرت أمام فاطرها صورته وهو ميت مسجى في ذلك التابوت
وذكرت تلك الليلة التي واجهت فيها الوحشة والخراب منذ أمد بعيد،
فأخذت تروح وتجيء على الشاطئ ، لا تستقر ولا تثبت ، وهي تتوسل
الى رع ، ألا يأخذ منها أوزيريس مرة أخرى ، وتناهى الى سمعها مع
أشعة القمر الأولى نداء جعلها تطير عبر الأرض الفضاء لتلقى أوزيريس
الحبيب بعد لحظات قصار ..

كان أوزيريس يطارد غزالا ، فاضطر أن يتبعه وقتا أكثر ممنا

قدر ، ولكنه ظل يواصل الزحيل طول الليل في ضوء القمر ، لعلمه أن ايزيس ستظل قلقة حتى يعود ، وحرص بعد ذلك ألا يغيب أكثر من يوم في رحلته هذه ، وقد طمأن ذلك المسلك ايزيس ، وأدخل المسرة على قلبها .

وبعد شهر من تلك الليلة ، خرج في رحلته المعهودة ، واقتضى يومان دون أن يعود ، ومثلث دون أن تسمع زوجه الكسيرة نداء المألوف ، وزحفت الأيام في بطء مريع ، ولم يعد أوزيريس .. وعندئذ أدركت ايزيس أنه لن يعود ، وأنها لن تراه ثانية ، فقد ظفر به أعداؤه مرة أخرى ، ولن تشرق الشمس من أجلها بعد اليوم !!

وجلس في الكوخ تحلق بعيون جامدة في الفضاء والرمال والمياه ، دون أن ترى منها شيئاً ، ومرت الساعات وليس هناك ما يملأه على أن جسدها ينض بالحياة ، وأقبل إليها حورس الصغير فلما أخفق في اجتذاب نظرها ، رقد في حجرها في سكون ، أما ايزيس فقد كانت ميتة بالنسبة لهذا العالم الأرضي ، لأنها كانت تعيش في الماضي وذاكراته البيض .

وأوشك قارب زع أن يتم رحلته اليومية حينما أفاق ايزيس من غيورها ، بعد أن ندت عن صدرها تهدة مرتعشة ، وانحدرت إلى الخليج حيث أودعت القارب الذي استقلته في رحلتها من بيلوس ، وكان ملقى بين الغاب بعيداً عن الأنظار ، وأوشكت أن تخطو إليه عندما رأت أنه مشغول ، وتراجعت بفرة صغيرة إلى الوراء ، تحولت فيما بعد إلى صيحة قزع ورعب !!

ورفع الشخص الذي يشغل القارب رأسه ، فلاحت ملامح مست الشريرة ، التي يتميز بها جسده المسوخ ، وقال في خبث :
هل أفرغتك أيتها الأخت الجنبلة ؟ لقد أفرغتك حقاً ؟ ولكن صدقني أنتى لم أكن أقصد ذلك ، وكنت سأحضر لزوجتك عندما أعد القارب للرحيل ، فابنى سأصحبك في رحلة !!

ونظرت اليه ايزيس بعينين جامدتين ، زاد الرعب في اتساعهما ،
ولم تجبه بكلمة واحدة .. واندفعت الى ذاكرتها فطأع ذلك المارد ،
ولقد أدركت الآن لماذا تأخر زوجها عن العودة ؟ ..
وقال الشرير حين لم يظهر بجواب :

— يظهر أن رؤيتي لم تسرك ؟ .. والواقع أنه ليس من الأخوة
على شيء أن ترخصني بمقدمي على هذا النحو ..

وقالت ايزيس وقد جعلتها سحرته تأس قسيرا في هدوء ، وهي تركز
نظرها في وجهه :

— لقد قتلته اذن ؟ .. ؟

— نعم لقد قتلته ..

قالها ست وهو يتراجع أمام تلك النظرة المملوءة بالكبرياء ؟ وقد اعتراه
الحقوف :

— يا اللوحش يا اللندل القامى ألم تكن تستطيع أن تتركها
وحيدة هنا ؟ .. ألم تكن تستطيع .. والملك في يدك — أن ترد النساء
سعداتا في هذا المكان ؟ .. وهل لا يزال قلبك الشرير ينطوي على شيء
جديد ؟ .. ؟

— نعم ينطوي عليك أنت انتى سأزوجك وأجعل منك ملكة
مرة أخرى ؟ فهل قبيلين التاج الذى أقدمه إليك ؟ .. ؟

وقالت ايزيس متجاهلة بسؤاله :

— وأين أوزيريس ؟ ؟

— حيث لن تجديه أبدا ولن يمكنك رده الى الحياة مرة أخرى
بالرقى والبراقيل .. لقد فاجأته وهو يصطاد وذبحته ولكي أطمئن على
النهاية التى رسمتها له ، مزقت بجسمه اربا اربا ، وبشرته فى طول مصر
وعرضها هل تكفيك تلك الاجابة ؟ .. ؟

ولم تصرخ ايزيس ؛ ولكن الناس طغى على روحها ؛ فألقت عليه
نظرة كلها اشمزاز وقالت :

- أيها الجبان الخائن ... ان يوم الحساب سيحل قريبا ؛ وستلقى جزاء
ما أملت عليك نذالك ...

وتحولت ايزيس تريد الذهاب الى الكوخ ، ولكن ست زمجر وهو
يمسك يدها •

- انتظري ... لن تروحي منى هكذا ... لقد عرضت عليك عرشى
وستجيبين طلبى هذا ...

وتحولت اليه ايزيس وفي عينيها غضب جعل يديه تمسكان الى جانبه ؛
وقالت بصوت يرتعد غضبا :

- امسنى مرة أخرى ؛ وعندها ستعلم شيئا عن قوة ايزيس ..
انك أنت وعروشك جميعا لا قيمة لكم لدى وسأرفضها وأرفضك كما
أرفض كل شيء كرهه ..

وصر ست على أسنانه فى غضب وصاح :

أنا أيضا اله .. ولن تغلح معى ضروب سحرك .. ومسترجلين
مى منذ انذ سواء أحييت ذلك أم كرهته ؛ وسأودعك مكانا أمينا ،
ولعل قلبك المنتظر أن يلين يوما ما ...

قال ذلك وضحك ضحكة ذات مغزى ..

وبدوا رحيلهم فى اليوم التالى صاعدين فى النهر ، يضرهم
خمسون من أخطر رجال ست وأشدهم بطشا ؛ ووصلوا مع الغروب الى
حصن كيب ، حيث ألقت السفينة مراسيها ، وقاد ست ايزيس وصغيره
حورس خلال البوابات التى أغلقت خلفهم ؛ محدثة صوتا أجوف ؛
شبهته ايزيس بأفشار المقبرة

وقابلها في الردهة خادما عجوزا وزوجه ؛ وقد أفردا لخدمتهما ؛
وأصدرت أوامره القاطمة بأن تعامل ايزيس وصغيرها حورس ؛ بما
يليق بهما من تكريم واحترام ، على ألا يفادرا غرفتهما خلال الليل أو
النهار ، ثم استدار الى ايزيس وعلى شفتيه الغليظتين ابتسامة مبخرة
كريمة ؛ ولكنه لم يمه بكلمة أخرى ؛ وعاد الى رفاقه ٠٠٠٠

ومرت الأيام بطيئة متنافلة وايزيس وولدها حورس مقلبان في
السجن ؛ لا يسمى أحد لانتفاذهما ؛ وكان ست يداوم على زيارتهما كل
يوم ؛ فقد ظن في نفسه القدرة على الوصول الى ما ربه بالوعود الخلافة
والتلويح بالحرية والقوة والسلطان في المستقبل ؛ ولكن ايزيس أغلقت
أذنيها دون الوعد والوعيد ؛ واتقطعت تلك الزورات فاطمأنت ايزيس
بعض الشيء ؛ الا ان قلبها كان مفعما بالشك والخوف ؛ فهي تعلم أن
سجنائها لن يرجع عن عزيمته ؛ وأن غيابه ينم عن أمور يدبرها ضدها ؛
تسم كلها بالنذالة والجبن .

وكم توسلت ايزيس لرع أن يعينها ؛ وأن يأخذ بيدها ؛ ولكنه
لم يستجب لتوسلاتها ؛ وكان حارس الباب زائرها الوحيد ؛ الذي يحضر
لها الطعام ؛ وزوجه التي كانت تعرض خدماتها بين الحين والحين ؛ وقد
أسرت ايزيس قلب الجوز وزوجه ؛ برقتها وعطفها ؛ حتى أنهما كانا
يفكران في مساعدتها على الفرار ؛ ولكن أنى لهما هذا وست قد ألقى
رقاه ؛ وأعمل فنون سحره في الحصن وفيهما ؛ حتى أصبحا لا يدریان
طريقا للدخول أو الخروج ... !!

وذات مساء بينما ايزيس تداعب طفلها قبل أن ينام ؛ ظهر أمامها
رجل غريب ؛ طويل القامة ؛ صارم الوجه ؛ فطلته ايزيس أحد أعوان
عدوها ؛ فدفعت حورس ورامها لتحمية ؛ ثم واجهت القدام في تعال
وتة وأتفة .

- من تكون ؟ وعم تبحث هنا ... ؟

- لا تجزعى يا ايزيس ؛ فقد جئت لأعينك لا لأؤذك ؛ ولو قد
جئت كما أظهر في السموات اذن لمررتي جيدا ... أنا توت وقد

أرسلني ربح الى هنا لأعيتك على الفرار من قبضة المارد ولأساعد في بيع أوزيريس .

ولقد ما فرجت ايزيس بهذا القادم الجديد ، فانه توت الـ المعرفة ؛ وأكثر الآلهة حكمة ؛ وفي يده مفتاح المعرفة ولن يستطيع أن يقف في وجهه أحد ؛ وأوشكت ايزيس عندما أشار توت الى اسم زوجها ، أن تصب عليه سيلا من الأسئلة ، ولكنه ردها في لطف قائلا :

— ليس هذا وقت الكلام اذا كنت تريدان انقاذ حياتك ونجاة ولد أوزيريس ، فأعدي نفسك للرجل ، ولكي يطمئن قلبك أزيد علي ما قلت ، أن اليوم الذي ستجدين فيه جسد أوزيريس آت لا ريب فيه ، وسيعود الى الحياة ؛ وسيحكم مملكة أكبر بكثير مما حلمتا به .

وقد تحقق ماقاله توت ، فان أوزيريس أصبح فيما بعد قاضيا في دار الموتى ، ولكن ايزيس لم تفهم ما عناه توت بكلماته ؛ ولم تفكر في مملكة سوى مصر ، ولهذا قايلت كلمات الآله بالدهاش بالغبغابة ولكنها اطمانت واستراح بالها ، حينما علمت أنها ستلقى زوجها وتسد معه مرة أخرى ، والتقطت ايزيس طفلها وتبعته توت

وسار توت تبعه ايزيس وطفلها حورس ، في طريق كبيرالمتحنيات ، ومروا خلال الأبواب التي فتحت مغاليقها لسة من يد الآله الزاخرة بالقوة ، واندفعوا في سراديب مظلمة ، كانت تنيرها أضواء غريبة عند مرورهم بها ؛ حتى وصلوا الى السهل الحلاء ، مخلفين وراءهم جذران السجن . وقال توت : سأترككم هنا في رعاية خدامي ، وخدام ربح القوي ؛ فاتبوهم حتى تصلوا الى مدينة بعيدة الى الجنوب سيدلونكم عليها ، فانتظروا هناك والى اللقاء . . .

وقبل أن تتمكن ايزيس من شكر إله المعرفة توت كان قد احتفى خلف ايزيس وحورس وحيدين .

ولكن أين الخدام اللذين تحدث عنهم توت ، لقد نظرت ايزيس

حواليها ؟ ولكنها لم تر أحدا على مدى نظرها ، ربما يستغرق هؤلاء
الخدام بعض الوقت حتى يحضروا ، ولكن رجال ست قد يكتشفون
فرارها ؟ فماذا تصنع ؟ هل تنتظر مكانها أم تختبئ في البردي حتى
يصل خدام رع ؟

وسمعت صوتا ينبعث من تحت أقدامها يقول : « حينما تكون السيدة
ايزيس على استعداد فأتنا سنرحل » ونظرت ايزيس للأسفل فأبصرت
عقريا ضخما ؟ وآخر ، وآخر وآخر .. حتى عدت سبعة فهل هؤلاء خدام
توت ؟.. ولو كانت امرأة أخرى محل ايزيس ، اذن للملات الجو صراخا ،
ولاذت بأذيال الفرار ، رعبا من هذه المخلوقات الميته ؟ ولكنها كانت
تلم يقينا أن الاله يستخدم في ما ربه أشد الوسائل تنغيثا ..

وسألت ايزيس لم تجمعتم هنا ؟

فقال أكبر العقارب : أنا تفن وقد جئت لأتبع السيدة ايزيس ولولدها
حورس ؛ ولاقيهما من كل أذى ..

- وأنا تفن ، وسأضئ مع أخى تفن لأراقب المؤخرة ..

- وأنا مستف ، وسأسير على يمين السيدة ايزيس ..

- وأنا مستف ، وسأراقب يسارها ..

- ونحن بت ؟ وتمت ، وماست ، وقد أرسل بنا رع لنقود السيدة
ايزيس الى مدينة الجنوب ..

ولما انتهوا جميعا من كلامهم قالت ايزيس : حسنا .. ولوا وجوهكم
شطر الارض حتى تدلونني على الطريق ..

وهكذا انطلقت القافلة العجيبة ؛ وظلت ايزيس تواصل الرحيل عدة
أيام ، والشمس ينعكس ضوءها على الرمال ؛ ويرتد لامعا ، حتى كلت
عينها ، وكانت تلح عليها دائما فكرة اكتشاف ست لفرارها ؛ واحتمال
مطارده لها .. وكان مجرد التفكير في ذلك الأمر يجعلها تحت أدلاء

على الجلد فى الرحيل ، وكانت لاتصبر حتى على مجرد التوقف للراحة →
ولكن تلك العقارب السبعة ، والقوى المقدسة تسيرها ، كانت لا تملك
أن تسرع وهى تسير بتوجيه من رع ، ولابد أن يكون توجيهه خيرا →
ووصلوا ذات يوم الى مدينة تب ، فقالت العقارب لايروس :
- انه يجب عليها أن تقيم فى هذه المدينة حتى يقضى رع أمره .»

ولما وصلت ايزيس مدينة تب ذهبت الى دار الأمير ، لعلها تجد
 لها مأوى ، ولكن امرأة الأمير وقد رأت المقارب السبعة في ضجبتهم ،
 تملكها غضب أهوج ، ولم ترفض طلبها فحسب ، ونكها حذرت الخدمات
 والجواري بالدار من أن تؤويها احداهن ؛ أو تسمح لها بالدخول ، وهكذا
 وجدت ايزيس نفسها مضطرة للبحث عن مأوى آخر ؛ فعادت الى الطريق
 الرئيسي الذى يؤدى الى المستنقع ، حيث جلست لتستريح

ومرت بها احدى الفلاحات الفقيرات ؛ فرأتها مكودة تحديق بقلق
 فى جذع احدى الأشجار وكأنما أدركت تلك الفلاحة الفقيرة أن ايزيس
 ليست بالمرأة العادية ، فدعتها الى منزلها قائلة : ياسيدي ان الاجهاد يدو
 عليك فعلى معي وسأحمل عنك الطفل ان منزلي فقير وليس لدى
 ما أقدمه الا القليل ، ولكنى سأقدمه لك كما هو ، فليس الفقر بعار . . . !
 وحملت الطفل دون ان تنتظر ردا على كلامها ، فقد كانت تعسرف الرد
 حقدما ، وسارت الى كوخ أقيم من القاب على حافة المستنقع ، وهناك وضعت
 أمام ايزيس وعاء به لبن وبعض الخبز والفاكهة ، وأخذت تطمع حورس
 من وعاء آخر بينما ايزيس تتناول طعامها

واستطاعت الفلاحة ببعض الاسئلة الماهرة أن تدرك نوع المعاملة
 التى لقينها ايزيس من امرأة الأمير فقالت : انها امرأة شرسة حقا . . .
 فيها برود وفيها أنانية . . . انها تفكر فى نفسها فحسب ، ولا تمد يدا المعونة
 لأحد طالما هى تستطيع ذلك . . . ألا قليئولها ربح برحمته

وسمعت امرأة الأمير بما كان من الفلاحة الفقيرة ، فاستشاطت
 غضبا ؛ وانطلقت الى الكوخ نائمة ثائرة فلما وصلت الى حافة المستنقع ؛
 صاحبت بصاحبة الكوخ :

كيف تجرئين على إيواء المرأة التي طردتها من دارى ٠٠ ١٩ لو كان.
الأمير هنا لانهالت السياط على جسدك القذر ٠٠ جزاء هذه الجسرة.
الوقفة ٠٠٠

- ان السيدة كانت متعبة ، ولم أقبل أكثر من تقديم الطعام والشراب.
لها ولصغيرها ، وقد عرضت عليها أن تستريح قليلا فى كوخى ، وهل
كنت أستطيع أن أقبل أقل من ذلك ٠٠٠ ؟

- هل تستطيعين أن تفعل أقل من ذلك ؟.. أتسأليننى هذا السؤال ؟
ألم أطردنها من أجل عقاربها الحبيثة؟ هل توبختنى باظهار العطف عليها.؟
أخرجى من هذا الكوخ حالا. ٠٠٠ ولو طلع عليك الغد وأنت فيه فتجلدين.
ويزج بك فى السجن ٠٠

ولما انصرفت امرأة الأمير انفجرت المرأة الفقيرة فى بكاء حار ،
وقالت وريقها يكاد ينص بدموعها والشهيق يتخلل كلماتها الحزينة ان كل
ما أحبيته فى حياتى مرتبط بهذا الكوخ ٠٠٠ وإلا الآن ستطردنى منه قسوة.
هذه المرأة ٠٠ آه ٠٠ من هذه المرأة القاسية ٠٠ وسألتها ايريس :

- وهل زوجها الأمير قلس هو الآخر ٠٠ ؟

لا ٠٠٠ ولكنه يخشى حدة لسانها فيفعل ما تأمره به ، ولو استمنع
لتوسلاتى فلن تركه فى سلام ٠٠٠

- كفى بكاء يا أختاه ٠٠ انك لاثنتين من أنا ولكننى أستطيع أن
أعينك ولن تخرجى من كوخك هذا أبدا ٠٠٠

- ولأحظت العقارب السبعة ما لحق بايريس - وديتهم المقدمة - من
اهابة ؟ فأجمعت رأبها على الاخذ بالثأر ، وافقت فيما بينها على أحسن
الطرق لتنفيذ غرضها ، واجتمعت بقية العقارب على تقن وأقرعت سمها
كله على ذنبه ، وتسلس تقن الى دار الأمير ، ودب بين الحصر التى تغطى
الأرض حتى وصل الى مهد يرقد فيه ابنه الصغير ، ثم لدغه مفرغا فيه سم.
العقارب السبعة ٠٠٠٠٠

وصرخ الطفل صرخات عالية أفرغت أمه وجعها من الحلم ، فأسرعوا
لإنجذته ولكن هيهات .. فلم يكن في مقدور بشر أن ينقذه ، فالسم الذى
سرى فى جسده كان قويا لدرجة لا يفيد معها علاج

وبعد لحظات قصار فقد الطفل وعيه ، وزاد من عظم المصيبة ،
أن إحدى النسوة - فى فزعها - قلبت سراجا مشتعلا فشبست النار
فى الأثاث وسرى الحريق فى الدار ..

وبينما الخدم يكافحون النيران ، ويحاولون حصرها ، كانت الأم
الشكلى تنزع طرقات البلدة وهى تنذب ولدها فى أين منجى ،
وصرخات مؤلة ولكن أحدا لم يلب نداءها ، فان أمانيتها وجفاف
طباعها ، قد نفرا الناس منها ، فظلت وحيدة تحس الفجعة ، ولكن
امراة واحدة رقت لها !!... فان الغريبة التى طردتها من دارها كانت
أما ، وكان لها طفل ، فتحركت فيها عاطفة الأمومة ، ورق قلبها
لهذه الأم الشكلى ، وللطفل الذى عانى دون ذنب جناه ، فلما مرت بها
امراة الأمير نادتها ...

- تعالى ياسيدتى فان كلماتى تقى من الشر ، وتمنح الحياة ...
اننى أستطيع أن أسفى ولك ذلك بالكلمات التى علمنيها أبى ، فاذا شئت
فأحضره الى وسأولى أمره ...

وفكرت المرأة فى أول الامر أن ترفض مكربة المرأة التى عاملتها
فى قسوة ونذالة ، فانطلقت فى طريقها ، ولكنها حين لم يهتم احد
بأمرها ، أضحت مشوقة لاختبار قوة المرأة الغريبة الطريفة ، وحملت
طفلاها آخر الأمر ، ومضت به الى الكوخ ، وسحبته على الأرض
أمام ايزيس .

ووضعت ايزيس يديها على رأس الطفل الميت ، وصاحت «ياسم
تفن أخرج وسل على الارض ، لا تبقي فى الطفل ، ولا تقض عليه ،
ياسم بفن أخرج ، لأنتى أنا ايزيس الربة ... أنا التى أعلم كلمات
القوة وأعلم كيف أستخدما !!... ان كلماتى لقوية ... ياجميع

السموم التي في جسده ، اصغى وافعل ما أمرك به ، باسم مست
ومستف لا تؤذه ، يا سموم بت وتنت وماست اذهبي عنه ..

وتلت الكلمات السحرية التي تعلمتها من توت والتي لا يعلمها
أحد سواها ... وهبطت الظلال ، وسمع همس نسيم الماء الرطيب
بين الغاب ، ولم يتحرك الطفل ولما لامس قرص الشمس قمم التلال ،
هبت ايزيس ومدت ذراعيها نحو الشمس الغاربة قائلة « الطفل يجيا
والسم يموت .. الشمس تجا وقوى الشر تموت .. » ونظرت النسوة
المجتمعات الى الطفل فرأينه يتنفس بلطف !! .. وقالت ايزيس وهي
تتحول الى داخل الكوخ « خذيه ... »

ونجح الرجال في الوقت نفسه في اطفاء الحريق ، وأخذت الدار
من خراب محقق ... لقد تعطلت الآلهة ابتهاال ايزيس من أجل
المرأة

وسمعت طريقة لطيفة على باب الكوخ خلال الليل المظلم ،
ودخلت امرأة الامير بعد أن فتحت الفلاحة الفقيرة باب الكوخ
وتقدمت المرأة من ايزيس وجلست عند أقدامها ، وقالت في تلعثم
« لقد أغلقت بابي في وجهك هذا الصباح ، فقد خشيت على ولدي
من عقاربك ، وغضبت لأنك تصحينها ، ولذلك رددتك ، وقد
لقيت جزائي على ذلك ... وأنا الآن أرجو عفوك عن فظاظتي فهل
تصفحين ؟ .. »

— ليس هناك ما يستحق الصفح ، فقد فعلت ما تعتقدينه
الصواب ، يدفعك الى ذلك حبك لطفلك ، واعلمي أن اللين والحب
يفيدانك أكثر من القسوة والكراهية ...

— وهل أستطيع أن أفعل لك شيئا أكثر به عن قسوتي ؟ ..

— هناك شيء واحد .. هو هذه المرأة الفقيرة ، فقد هدتها
بالطرد من الكوخ الذي ارتبط بقلبها وذكرياتها ... اسحبي كلماتك
المتسرعة ، وامنحيها الكوخ مدى الحياة تأكيداً لاخلصك ،

واعلنى النبأ فى القرية منذ الغد ، حتى يعلم الناس أنك خيرة طيبة
القلب ...

وترددت امرأة الامير فى بداية الأمر فى اجابة هذا الطلب ،
والواقع أنها كانت تريد اصلاح موقفها من السيدة الغريبة القوية
ولكنه لم يقع فى حسابها أن تظهر عطفها على المرأة المسكينة بعد أن
ثارت عليها فى الصباح ، وبعد اعمال الفكر والتروية ، وجدت أن
ثلاثتهن ايزيس وهى والمرأة الفقيرة ، هن اللواتى شهدن الحادث
ووجدت أنها تستطيع أن تمسك لسان المرأة فقالت :

— اذا كانت مستسى ماحدث وتغضى عما تفوهت به هذا الصباح،
فاقتنى لن أفكر فى ايدائها ، ولكننى أشعر نحوها بالامتنان لأنها
صادقتك ، وغدا سأفقد مشيتك ، وأعلن أن هذا الكوخ لها مدى
الحياة .

— اتقنا اذن ، ولن تذكر هذه المرأة شيئاً عما حدث ،
وستذكرك بالخير دائماً ...

وانصرفت امرأة الامير الى دارها ، ولم تكذب تغادر الكوخ
حتى جئت المرأة المسكينة أمام ايزيس وانهر من شفيتها فيض من
الشكر لهذه السيدة صانعة المعجزات ...

بعد هذه الأحداث فكرت ايزيس فى الرجل من تب ، فقد
ذاعت أفعالها فى طول البلاد وعرضها ، فخشيت أن تصل هذه الأنباء
الى مسامع ست فيقع المحذور ؟

ونادت اليها العقارب السبعة فلما أقبلت قالت لها ؟ أديرى
وجوهك الى الارض وأرشدنى الى مستنقعات « خبت » ومخابئها
فلما سمعت العقارب ذلك أدارت وجوها الى الأرض ، واتجهت الى
اشمال نحو الدلتا ، وانطلقت مرة أخرى ...

وأرض خبت هذه التى تحدثت عنها ايزيس جزيرة مسحورة نائمة

على صدر النيل العريض قرب بلدة بوزريس ، وفي استطاعة من يعرف سر هذه الجزيرة أن يحركها من أساسها ، فتطفو على النهر اذا أراد ... ولكن السر كان معلوما لقليلين ، هم ايزيس وأختها نفس ، وصديقة لهما تقطن تلك الجزيرة ، وتقوم على رعاية ممتلكاتها البحرية .

وهكذا مضت ايزيس على الطريق الصعبة الطويلة ، بمعونة حلفائها المخلصين المقارب السبعة ، حتى وصلت الى أرض آم حيث احتفى بها الناس كربة من الربات ، فأقامت فترة من الزمان بعد الحاح مستمر ، ولما كانت أرض آم قريبة من خبت ، فقد شكرت ايزيس المقارب السبعة ، ثم أذنت لها في الرحيل .

وأقامت ايزيس في أرض آم في سعادة واطمئنان ، فليس هناك عدو قاس يزعجها ، ولا خوف هناك من اختطاف صغيراً الحبيب وقد حصنته بالرقى والتعاويد ، التي أخذتها عن رع في العصور الخاليات ، فهو الآن آمن من ست وخدمه وأتباعه ، وهكذا أخذت ورود الحياة تفتح أمامها ، وأخت تجد في رعاية ولدها وهو يدرج نحو الرجولة عزاء عن أحزان الماضي ...

وكانت ايزيس تخرج كل يوم تلمس الطعام لها ولولدها وكانت تترك حورس في رعاية أصدقائها ، وكم ألح عليها هؤلاء الاصدقاء أن تريح نفسها من هذا العناء ، وأن تأخذ ما تحتاج اليه من طعام من طعامهم ، فقد كانوا يرون ذلك تكريماً لهم ، ولكنها كانت تأبى ذلك على الجميع ، فقد كانت بخروجها تنسم أخبار عدوها ست وكم كانت تسر حينما تعود في المساء الرطب ، فيسرع حورس الصغير في مرح على الدرب المترب ليستقبلها ، وكم كانت تضحك عندما يحاول في براءة الطفولة أن يستعمل الرمح والهاوذة والقوس ، وكانت تسميه أوزيريسها الجديد ، الذي سيثار لها من عدوهم جميعا ...

ولا يستطيع قلم أن يصف حنان الأمومة الذي كانت ايزيس

تظهره ، عندما تضم صغيرها الى صدرها في المساء وهي تغنى له أغنية
ينام على رجبها ، لقد كان كل ما تملك في الحياة ، وقد عاشت من
أجله ومن أجل ما سيقوم به من أعمال ، فوققت على ذلك كل تفكيرها
وحبها ...

ولكن ايزيس رغم عنايتها تلك قد نسيت أمرا واحدا ، وفجأة
ذبلت الورود التي تفتحت تحت لمسة الموت الباردة ، وأصبحت
الارض عارية خلاء ١٠٠ ففى احدى الأمسيات لم يخف حورس للقائها
كما تعودت ، فأسرعت الى الدار وقد غمرها احساس قائم بارد
كال موت ، وهناك كان الطفل مسجى على الارض وقد انتفخ جسمه
وتورم ، حتى لا يستطيع تبين ملامحه ، وقد تصلبت عضلات وجهه ،
وتوترت أطرافه ، فقد كان الطفل ذو الشعر المجعد ميتا ... لقد
حصنته من شر ست وأتباعه ، ولكنها لم تهم وزنا لأشد الحشرات
خطرا على الارض وهكذا لدغته في غيبتها عرق شريرة وهاهو مسجى
بين يديها وكأنه لم يكن شيئا ...

وتفصيل ما حدث أن اعادتها لابن الامير الى الحياة في تب آثار
أحد العقارب من أتباع توت ، فذهب الى ست ونقل اليه الخبر ولكن
ست الشرير لم يستطع أن ينال من ايزيس ، وقد دل سحرها على أنها
أقوى منه بكثير ولكنه قوم سم العقرب بطريقة سحرية ، وأمره أن
يسود الى أرض آم وأن يلدغ حورس وكان الشرير يعلم أنه يؤذى
ايزيس بالقضاء على ولدها أكثر من أى شيء آخر ...

وتجمع جيرانها حينما سرى بينهم النبا المفجع ، فأسرعوا الى
الدار وجلسوا حولها ليكون لفداحة المصاب ، ولم يف أحدهم بكلمة ،
فان الكلام في بعض الاحيان يعتبر اجترأ على قداسة المزن .

وهكذا التفوا حولها في حزن صامت ، وقد حاولت احدى
النسوة المشتهرات بالحكمة في الجيرة أن تشفى حورس ، ولكنه ظل
كما هو لا حراك به ، وأخذت ايزيس تدب ولدها بصوت مرتفع

والدموع تنهمر على خديها ، ولكن ذلك كله لم يكن مجديا فان التنب
والعويل كل ذلك لا يستطيع أن يعيد الحياة الى الطفل .

وبينما ايزيس في حزنها المرير قلب النظر هنا وهناك ذاهلة ،
مرت بها أختها فتس وفي صحبتها ربة المقارب سركت فسألتها فتس :

— ماذا جرى يا ايزيس ؟ ولماذا تبكين في مرارة ... ؟

— واحزنه ... لقد مات ولدى ... لقد أخذ منى حورس
الجميل ...

— مات ؟؟ ... مات ... مات ؟ وكيف مات ... ؟ ؟

وارتجف صوت فتس للفجعة ، واندفت من عينها دموع
حرار ، فقد كان الطفل حبيبا اليها وأجابت ايزيس سؤالها :

— هذا المساء عندما عدت الى الدار ... أنظري .. انه ملقى
على الارض ميتا ... لقد لدغه عقرب أرسل به ست الشرير ... لقد
اغتصبوا كنزى وأخذوا حبيبي منى ...

والتفتت فتس الى ربة المقارب وقالت لها :

— سركت ... ان لك عملا هنا ...

— لا ... لقد فات الوقت الذى كنت أستطيع فيه استخدام
قوتى ، لو أن ايزيس طلبت عونى من قبل اذن لمنعت العقرب من
لدغه ، ولكننى لاسلطان لى على الحياة والموت ، ان ذلك عمل
رع القوى .

— انه لكذلك ... ؟ ايزيس ... ادعى أبانا رع القوى ،
واطلبى اليه أن يعيد الحياة الى وحيدك .

وعند طلوع الفجر عندما بزغ رع من وادى امتت واستقر
في زورق الزمان ، تصاعدت صلوات ايزيس خلال ضباب الصباح
الى السموات العلى ، وأخذت تنهل الى مبدع الأشياء فجى كلمات

يقطعها البكاء والألم أن ينصت الى ضراعتها الحزينة ، فقد قضى ست على زوجها أوزيريس بالموت ذبحاً وتشريدها في الارض ، وهاهو الآن قد سلب منها طفلها الوحيد ، وصرخت في لوعة « أعدده الى ثانيا ايها الاله رع ... أنت يامن تملك مفاتيح الحياة والموت ، استمع لصلاتي ولا تدع ولدى الوحيد يؤخذ منى على هذا النحو ... »

وهكذا أخذت ايزيس تبث الاله حزنها ولوعتها ، وبينما الجماعة الحزينة تحمق في السماء بعيون ضارعة ، ووجوه صامتة حزينة ، حدثت المعجزة ، فقد بلغت صلوات ايزيس مسامح رع ، وتوقف قارب الزمان عن المسير وهبطت توت اله المعرفة الى الارض ووقف مرة أخرى أمام الملكة الشريفة وقال : « آيتها الربة ... يامن تصرفين كيف تستخدمين تعاليمي ، اعلمى أن الطفل حورس لن يلحق به أذى ، لأن حفظه منوط بقارب رع ، لقد جئت اليوم في قارب قرص الشمس من المكان الذي كان فيه بالأمس لأن الظلام قد طغى عليك ، وإن نوري سيبدد هذا الظلام باحياء الطفل حورس من أجل أمه ايزيس ... »

وكانت ايزيس في بداية الامر لا تحير جوابا ، ولكنها بعد ذلك ، ودون أن تنطق بكلمة قادت الاله الى الفراش ، حيث سجد جسد ولدها ، وأشارت الى الجثة المشوهة بالدموع تنهمر وهست ألم يعض الوقت بعد ؟ ولكن لا ... ان لرع سلطانا على كل شيء وإن كلمته لتمنح الحياة ... أعدده الى ... اننى أبتهل اليك ... »

وقال توت : لا تخافى يا ايزيس ... ولا تبكى ياقتس ... لأننى هبطت من السماء لأهذ الطفل من أجل أمه ... » وانضى الاله على الطفل وأخذ يتلو كلمات السحر التى تكمن فيها القوة ... وعندئذ ... يا للعجب أى تحول قد حدث .. ؟ لقد لانت الأطراف المتجمدة ، واستدار الجسد ذو الشكل المتميع ، وسرت الدماء في خديه ووجهه ، وهناك ... نعم ... لايمكن لأنسان أن يخطيء

النظر ... لقد أخذت بسمه شاحبة تداعب الشفتين الذابلتين ، وقال
توت وهو يستدير الى ايزيس : « لقد عاد اليك طفلك ثانية فخذي ،
واشكري رع الواحد القوي لأنه سمع صلاتك واعلمى أنه يرفع
المظلومين والمعلولين على أمرهم ... »

وقفزت ايزيس الى مهد الطفل في جذل وسرور ، وضمت الطفل
الى صدرها في لهفة ، ونسيت العالم في غمرة فرحها ، ثم ذكرت أنها لم
تؤد بفروض الشكر الى ذلك الذي استجاب لصلاتها ، فاستدارت
اليه لتشكره ... ولكن توت كان قد ذهب ، وحتى قارب الزمان كان
في ذلك الحين يسرع على طريقه المرسوم ...

وأخيرا آن الأوان لتبدأ إيزيس البحث من جديد عن جسد أوزيريس ، ولكنها قبل أن تبدأ بحثها يجب أن تجد مأوى لحورس الصغير ، فهي تخشى عليه أتباع ست أن يضرروا به ، ويختطفوه تاركين لها الحزن والأسى ، فذهبت تلمس النصح من أختها نفثس فنصحتها بإيوائه عند آهورا كاهنة الجزيرة المسحورة القريبة من بوزيريس .

- حقا ... وأى مأوى آمن من تركه مع آهورا على الجزيرة المسحورة ، فهي الوحيدة سوانا التي تعرف أسرارها ، وليس من الحكمة أن تعرض حياة حورس للخطر مرة أخرى ... ولكن بفرض أن ذلك حدث فسيكون هناك فى مأمن ، فهو يستطيع بكلمة واحدة أن يتعد عن الخطر ...

- أصبت يا أختاه ... ان ست لنذل ماكر وأنا أعلم بنواياه ، وقد يوفق الى طريقة سحرية تبطل تأثير تراتيلي ... سيكون ولدى آمننا فى الجزيرة

وفى الصباح التالى أبحرت الاختان الى بوزيريس ، وفى العدة الاخرى أبصرتا الجزيرة المسحورة ، وطلبتا من الملاح أن يعبر النهر بهما الى تلك الجزيرة ، فأبى وقال يرد على احتجاجهما : ان هذه الجزيرة ليست من الارض فان أرواح الموتى تسكنها ، ولا يستطيع أحد أن يمس شواطئها ويعود حيا ، اطلبوا منى أى شىء آخر أقوم به مسرورا ، أما هذا فلا .. لست أجرؤ على ذلك ... وتقدت نفثس السلاح أجره وصرفته مشكورا ، وقالت لايزيس حين رحل :

- لقد أحسنا صنعا اذا كانت هذه الفكرة منتشرة عن الجزيرة فى هذه الانحاء ، فان بأ حورس ومأواه لن يصل الى مسلمم ست الشريرة .

— أصبت يا نفس ... لقد أحسنا صنعا ؛ نادى الينا الكاهنة آهورا ؟
اذن ...

وجعلت نفس من يديها بوقا رن من خلاله عبر الماء .

آهورا ... آهورا ...

من ذا الذى ينادى آهورا ؟.. من ذا الذى جاء ليفسد على عزلتى ؟..
صدر الصوت عن عجوز انحدرت الى حافة الماء وقد اتشاحت
بالبياض ؛ فأجابتها نفس :

— ابنة سب ونوت وتعريفينا جيدا فتعالى واسرعى ..

وفى لحظات معدودات كانت الجزيرة تندفع نحو الشاطئ ، حيث
وقفت الربتان ومعهما حورس ، ولما اقتربت الجزيرة ولاست الشاطئ ،
خطا الجميع اليها ، وكانت الكاهنة عجوزا شمطاء ، ولكن وجهها كان
يجتذب اليه نظر كل من رآه ، فقد كان الابتسام يملوه دائما .

وجئت المرأة فى خضوع ألام زائريها ، ولكن ايزيس تقدمت اليها
وأعانتها على النهوض ، وقالت لها : « أرى أنك تعرفينى جيدا ، ولكننى ما
جئت لألقى تكميمك وتقديسك ، فأهتفى بنائية لا أقول ؛ فلان حسن
اصلاك وطاعتك العمياء يتوقف عليهما أكثر مما تظنين .. »

وفصلت ايزيس الامر بالاختصار ؛ وأصدرت تعليماتها للمحافظة على
الطفل ، ثم ودعت بعد ذلك وجدها بين الدموع والالتياح ، ثم تحركت
نحو الشاطئ ، وقالت وهى تسرح بصرها فى الجزيرة الجميلة ذات الغابات
والحمايل والعيون الجاربات « تذكرى ... واحرسه جيدا من كل أذى ،
فأجابت آهورا : « سأذكر ... ولن يستطيع أى شر أن يناله هنا ؛ ففى
من ذلك ... » وابتعدت الجزيرة عن الشاطئ فى سرعة كبيرة ؛ ثم
استقرت وسط المجرى كما كانت من قبل ...

وأدارت ايزيس ظهرها للجزيرة ؛ وانطلقت مبتدئة بحثها الثانى
عن أوزيريس ...

وقد اتخذت ايزيس لها قارباً من القاب أول الأمر وجدلته بأعواد
البردى ، ثم طلته بالقار من الداخل والخارج ، فجمع الى الحفصة مائة
وقوة ، وقد كان المصريون يعتقدون أن التماسيح لا تمس أحداً يركب
قارباً من البردى ؛ وقد اعتبروا كل ما يصنع من البردى مقدساً تكريماً
للربة ايزيس ، ولما تم صنع القارب سيرته ايزيس مع المجرى باحثة عن
جسد زوجها الحبيب ...

كان البحث فى هذه المرة شاقاً ، لا يقلس الى بحثها الاول من
حيث الصعوبة ، فان ست الشرير قد مزق جسد أخيه وبثر أنشائه
الأريمة عشر فى أنحاء القطر المصرى ، وقد أمل بهذا ألا يستطيع أحد
أن يجد كل هذه الأشياء ، فبعد أوزيريس الى الحياة مرة أخرى ، فإى
عجب اذن فى أن تشعر ايزيس بالأس وهى لا تعلم من أين ، ولا كيف
تبدأ بحثها ..؟

كانت تمر بكل بلدة فتسأل الناس عن أية دلالة قد تؤدي الى
كشف عضو من الأعضاء الدفينة ، وكانت تقيم فى كل مكان تشعر فيه
على شلو من الأشلاء مبدأ جميلاً وتضع فيه تمثالا من الذهب لأوزيريس
وكانت تلف الشلو الذى تجده بعناية فى نسيج من الكتان صنعه بمعاونة
أختها نفيس وولدها أنوبيس ، وتحفظه بمهارة حتى لا يلحق به الفساد
أو يطرأ عليه التغير ، وكثيراً ما كانت تنقضى الأسابيع طويلة معلقة ،
والشهور التى لا تنتهى تجر أقدامها فى بطنه وتناقل دون أن تشعر ايزيس
على شئ ، وكان قلبها كثيراً ما يطفح بالحزن المرير ...

وذات مساء رسا القارب على الشاطئ قرب ايدوس ، وكانت
الشمس تسبح فى بحر من القرمز والذهب ، وكانت التلال الرملية
الداكنة المارية طوال النهار ، تقتسل فى أشعتها الدافئة ، وقد اكتست
زرقه وردية ، وكانت صفحة النهر الغبراء تعكس ألوان السماء ،
أشعة حمراء قرمزية ، وصفراء برتقالية ، وقد ارتدت حزم من الأشعة
البيض عن جدر المنازل والمعابد للماعة على الشاطئ ، وقد تحولت
الى لون داكن هادئ ، وحتى تلك الأكواخ الطينية البائسة ، قد رق

شكلها ولطف ، وكأنها تقسم الكون مرحه وجمانه فى هذه الساعة .
وكانما اله الشمس حينما غاب وأخذ الى الراحة قد أسبح على انكون
بركانه ، محولا الركود الذى يؤذى الأنظار ويسم العقول ، الى لوحة
غنية بالألوان وانفلال ..

وقد تسرب هدوء ذلك المنظر الى نفس ايزيس المتعبة ، وأغراها
بالراحة ، ففادرت عينها تلك النظرة الموزعة التى تعودت أن تملأهما .
وبدأت تسير بتأقل على حافة النهر المغطاة بالرمال . وانقض شهاب على قمة
مذبة لبناء ضخم ، مرسلا لسانا من اللهب الوردى خلال التخل الى
الخليج حيث انتهى بكرة من انثار ، وانبعثت من تلك الكرة أشعة كثيرة
خاطفة لا تقوى العين على تحمل برقيها حتى أن المرأتين غطتا عيونهما
بأيديهما ...

ووقفت ايزيس فجأة فى مقدم القارب تحمق بشدة فى الكرة
النارية ، ثم أسرع الى الدقة ، وسيرت القارب الى الخليج ، فلما وصل
قفزت منه الى الشاطئ . وأسرعته قدما ، ثم ألقت بنفسها على الرمال ..
وتلاشت أشعة الغروب بسرعة ، وشاع الظلام فى الكون ، ولكن
النشيب الغريب الملقى على الشاطئ كان لا يزال يلتمع ، وكان يدوانه
حتى ... فلما غابت الشمس بدا وكأنه مصدر النور ، ولكن ايزيس لم
تلق بالا الى ذلك كله ؟ فقد وجدت رأس سيدها أوزيريس هناك

وقد أقامت ايزيس فى هذه البقعة معبدا فخما ، تمجيذا لعشورها
على رأس أوزيريس ، وأهدت الى ذلك المعبد - معبد ابيدوس - الذى
أصبح من أشهر معابد مصر ، تماثيل من الجرانيت لأوزيريس ولها ،
ووضعت على أعلى قمة فى المعبد تماثلا من الذهب الخالص للاله ، بحيث
تقع عليه أول أشعة للشمس المشرقة وآخر أشعة للشمس الغاربة ، كأنهما
تحيئا الصباح والمساء .

ومر يوم بعد يوم ، وتبع الأسبوع أخاه فى تراخ معمل ، وقد كان
الاحقاق أكثر احتمالا ، ولكن اليأس بظلمته لن يجد اليها سبيلا ، فقد

ملأها الشور على رأس أوزيريس بثقة لا تموت ، وعلى ذلك فقد تابعت
بحثها وصبرت عليه ...

وبعد جهد جهيد ، وزمن طويل ، انتهى البحث المضني ، وتجمعت
الأوصال المبعثرة ، وثنى جسد زوجها الممزق في القارب وعادت
إيزيس الى الدلتا بمعونة أختها نفثس ، ودخلت بالقارب مناطق البردى
ولما اطمانت للمكان سجدت الجسد على الرمال ، وتلت عليه الكلمات
المسحورية التي تعلمتها من توت ، وجرى للمرة الثانية ذلك العمل الذي
أحال مداخل النيل عند الدلتا الى بقاع مقدسة ، ذلك هو بعث أوزيريس
تم ذلك العمل في جو من الرهبة الحزينة والجلال الرهيب ، وتعاون
حب المرأة مع فضيلة الربة وقوتها وكلل ذلك كله رقى وتاويذ ، فغساد
أوزيريس الى الحياة مرة أخرى ...

انقضت بعد ذلك سنوات شب فيها حورس - ودعة الجزيرة
المسجورة - عن الطوق وبلغ مبلغ الرجال ، وأصبح قويا متين البناء ،
فلم يكن هناك من يهز الرمح كما يهزه حورس ، ولا من يجذب القوس
ويسددها فلا تخطئ الهدف كما كان يصنع ، وفي حلقات الصراع كان
له السبق فقد كان أكثر من بطل !! .. كان يصارع بالهراوة الطويلة
فيصرع أعداءه أجمعين ، أما مهارته في السباحة والنوص ، وسرعته في
العدو ، فقد أصبحت مضرب الأمثال .

كان لا يخشى شيئا ، وكان مترنا في جلال ، وكان أباه ورثه القدوة
على اجتذاب قلوب الناس ، بما جبل عليه من طيب الصفات وحميد الخلال ،
هكذا كان حورس الشاب ابن ايزيس وأوزيريس .

ولم يكن حورس حتى ذلك الوقت يعلم شيئا عن أصله النبيل ، فعمل
كفلاح بسيط ، وأمضى في ذلك العمل أيام شبابه الأولى ، ولكن سلوكه
النبيل وقوته الجبارة ، سرعان ما اجتذبا إليه أنظار الشيوخ والمجربين في
القرية ، فلم يخف عليهم أن هذا التبل الملوكي الذي وجد بينهم بشكل
غلمض لا تجرى في عروقه دماء العامة ، وأنه أرقى منهم ، ولقد كان حورس
ضيفا محبوبا من الجميع كبارا وصغارا ، تفتح له الأبواب ، ويلقى الترحيب
والتكريم حينما حل أو نزل .

ولما اكتمل حورس ونضج ، فكر أوزيريس في أنه من الحكمة أن
ينمي - ولده بالمسؤولية التي تنتظره فاستدعاه إليه ذات مساء بعد أن انتهى من
عمله ودار بينهما الحديث التالي :

هل رأيت الجنود الذين مروا على الطريق اليوم ؟ ..

— نعم يا أبته ، والناس يقولون ان حربا شبت فى الجنوب ، وانهم
ماضون لمساعدة كاتب الملك •

— ستتقضى بضعة أيام قبل أن يصلوا الى العاصمة ، اذا كنت جنديا
ياحورس فأى الدواب يصلح لك ؟

— الجواد •••

— ••• ولماذا تقرر أن الجواد خير لك من أسد مدرب ؟ ••

— الأسد يصلح لخدمة من يريد الحماية والنجدة ، أما الجواد فأكثر
صلاحية لمن يريد اللحاق بالعدو وإبادته ، وهذا مطلب المحارب الصادق
الذى لا يفكر فى الاستنجاد بغير قوته ••

— وما هو أجل عمل يقوم به الانسان ؟ ••

— أين يتشمع لما أصاب أباه وأمه ••

— يورك فيك يا بنى •• اجلس الى جوارى فان لدى الكثير منا أريد
أن أقصه عليك ••

وهكذا قص أوزيريس على ولده حورس قصة حياته فى طيبة ،
وجهاده لخير الناس ومصالحتهم ، مما أكسبه قنهم وجهم ، وكيف ظهر
ست فى الميدان ، وكيف استعمل أساليب الخداع والحيلة ، فاعتال أخاه
واستولى بذالة على العرش ، ولما وصل أوزيريس فى قصته الى وصف
تجوال ايزيس ، وألها وفوزها الأول ، ثم القتل الثانية وتمزيق ست
لأوصاله ، وقسوته فى معاملة ايزيس ، اريد وجه حورس غضبا وأومضت
عيناه ، وقبضت أصابعه ، وسرت بأطرافه وجسده رعدة الغضب ، الذى
ثار داخل نفسه ، ولكنه لم يفهم بكلمة ما ، وأنهت فى مسكون الى رواية
أبيه ، وكأنه كان يشرب كل كلمة يقال ، حتى ألم بدقائق الجرائم التى
اقرنها ذلك المقتصب •

وقال أوزيريس غمتا قصته : والآن فان يوم الحساب قد اقترب ولن
أستطيع البقاء معك ، فالآلهة تدعونى اليها الى وطنى الأصيل فى السماء

واليك يا بني الوحيد كل مهمة الانتقام لما أصاب أباك من أذى ، وما لحق
بأمك من اهانات ، ولكنني أعلم أن شرفنا سيستعيد مكانه انقديم ، وسأراك
يا بني من مقرى الجديد ، وسأرعى جهادك المقبل ، وأرجو ألا تكون
رعايتي بلا جدوى ! .. انك ستمضي قدما الى القتال ، وأنت تعلم أنك
تقاتل للحق والعدالة فاجعل هذا الهدف نصب عينيك تتصر دائما •

ووقف الرجلان ، الأب والابن ، وجها لوجه ، ونظر كلاهما الى
الآخر ، ثم جثا الابن على ركبتيه ، وتناول يد أبيه ، وأخنى رأسه وقبلها
قائلا « سأنتصر يا أبتاه »

وصعدت السفينة ذات الشراع الحريرى مسرعة فى النهر ، ولم تكن فى هذه المرة متشعبة بالسواد ، مثلما كانت وهى تحمل جسد أوزيريس ولكنها كانت تخطف الأبصار ببياضها الناصع البراق وكان الثلاثة الذين جلسوا تحت المظلة السمكية قرب الدفة ، يرقبون الضفاف وهى تختفى بميون ذاهلة ، ترى ما الذى كان يجول بأفكارهم خلال آخر رحلة يقومون بها معا ؟ ذكريات حلوة عن الساعات السعيدة التى قضاها فى هذه الأنحاء ، والتى كان صفوها يتكرر أحيانا عندما ينعكس وجهه ودهم المسخ على صفحة ذاكرتهم ، ولكنهم كانوا يتخلصون من هذه الصور بسرعة ، ولم يكونوا يتكلمون بين الحين والحين ، الا ليمتعدوا ذكرى مرحلة ليوم من الأيام الخوالى .

وأسرع القارب تدفع الريح الطيبة شراعه ، وهناك على مدى النظر كانت تقع مدينة بوتو ، وهى مدينة كبيرة من المدن الغابرة والى الشرق منها كانت تبدو قباب المبد الذى أصبح فيما بعد مدينة عون العظيمة ، وفى العدو المقابلة كانت تتأثر على الشاطئ أكواخ قليلة من الطين ، هى موقع مدينة لما تزل فى ضمير الغيب وهى ممفيس المستقبل ، وإن كان حاضرها الفقير لا يدل على مستقبلها المترف السعيد ، ولم يتوقف القارب عند واحدة من هذه المدن ، بل استمر فى الرحيل حتى بدا لهم تمثال أوزيريس الذهبى الذى يتوج معبد اييدوس ، وتردد عنه أشعة رع فى السنة من اللهب الحى ، وأدار حورس دفة القارب الى الضفة الغربية حينما أمره أبوه بذلك ، وأسرع القارب فى هذه البقعة نحو شق غائر فى التلال ، ودلفت الجماعة الى الشاطئ وقطع أوزيريس ذلك العصمت قائلا : « لقد حانت ساعة الوداع ، وكم كنت أود أن أبقي بينكم ، لأنم العمل الذى بدأته وأتقى هذه الأرض من الشرور ولكننى يجب أن أمضى ، أما أنت يا بنى ،

فأنتى أمتحك القوى الآلهية ؟ وأسبح عليك لقب « ابن الشمس » الذى
ستمكن بقرته من الانتصار على كل أعدائك ؟ فامض اذن وأد واجبك ..
وليسد من أدرك علمك بأن رع سيكون ملك دوما ، وسأرعك أنا أيضا
وأحميك من الأخطار ، والى اللقاء يا ولدى .. يا ولدى النبيل الى
اللقاء ... »

وبجالت الدموع فى عيني حورس ، وهو ينظر فى وجه أبيه وكأنه
يتملى من صورته ؟ وقال : « الى اللقاء يا أبتاه .. وسأعيش دائما وأنا جدير
بالاسم والشرف الذى بمنحتنى اباعما » .

ومضى أوزيريس تصحبه ايزيس نحو التلال فقال لها : « وأنت
يا زوجتى يا من ظلت شجاعة صادقة ، يا من تحملت الألم وضجيت من
أجلي ، هل أستطيع أن أقول لك أيضا الى اللقاء .. ؟ ولكننى لن أنساك
لحظة واحدة ، وسأظل فى انتظار اللحظة التى تلحقين بى فيها ثانية .. »
وقالت ايزيس بأكية : « ألا يمكن غير ذلك يا زوجى الحبيب هل قدر لى أن
أراك لا أدق مرارة فراقك مرة أخرى .. ؟ وعلى هذا النحو .. ؟ ألا
أستطيع أن أصحبك الى حيث تنهب ؟ .. »

— لم يحن الوقت بعد يا ايزيس وقد لا يكون .. لقد قرر الآلهة أن
ألقى بهم الان ، أما أنت فلا يزال أمامك ماتملينه هنا سيمر فصل واحد
أعود بعده اليك . ولن يكون هناك بعدئذ رجيل ولا دموع ..
— انه لعسير .. انه لمن الصعب أن أفهدك مرة أخرى ، ولكن لتكن
مشيئة السماء ..

— الى اللقاء يا وحيدتى الحبيبة ، ولن يطىء ذلك اللقاء ، ولكن انظرى
ان اله الشمس يتظرنى ويجب أن أمضى .. الى اللقاء مرة أخرى ..
وبعد المناق الأخير انفصلا عن بعضهما ..

وعندما قارب أوزيريس الشق الغائر فى التلال ، هبط قارب الزمان
وهبط حتى ملأ الثغرة ، ولما وصله أوزيريس ، وقف كائن فيه ورفعه الى
القلب ، وبعد لحظة رآه الواضون على الشاطئ ، يقف بجوار الدفة ،

وقد وقف الى جواره اله الشمس نفسه ، وقال أوزيريس ماذا ذراعيه
للأمام : • لكم بركاتي وستكونون في رعايتي دائما •• ورع أيضاً طلب
الى أن أبارككم باسمه •• ،

وحمل نسيم المساء صوتا عميقا ، غنى الثبرات أجش كأنه صوت
أرغن ضخم ينبعث في موجات لا تنتهي من النعمات الرقيقة الحلوة • سيتوجون
بالخلود والسعادة •• • أولئك الذين أخلصوا الى النهاية حتى الموت ••
انهم سيكون اليوم •• ولكن المسرة ستأتي مع الصباح • وستكون البقية
مفرحة •• فقفوا أولا ولا تخشوا شيئا ، وعندما مكن صوت اله الشمس
انزلق زورق الزمان الى أعماق الليل ••

وأبحرت ايزيس في صحبة حورس بعد أن غادرهما أوزيريس ،
وسار بهما القارب عدة أيام دون توقف حتى وصل الى أرض بعيدة في
أقصى الجنوب ••

وتقمص رع في صورة انسان وهبط الى الأرض ، وهو القادر على
الوجود في أى مكان ليحكم تلك الأرض مساعدة لولده ، وكان ست في
هذه الآونة في الدلتا ، وكان المستقعات وأدغال البردى ، كانت تناسب
طبيعته أكثر من السهول الجافة في الجنوب وكان انسان في تلك الأنحاء
يثنون تحت حكمه ويلهفون على عودة عهد أوزيريس ، ويتحينون الفرصة
للقيام بثورة على ذلك الطاغية وعندئذ يضطر المارد الى ترك أرض الجنوب
وشأنها ••

ولكن أهل النوبة وهم برابرة متوحشون كانوا يفضلون حكم ست
الموسوم بالفوضى على حكم رع العادل المنظم • ولذلك حاربوه فلم يسع رع
الا أن اقتحم عليهم ديارهم ، وقضى على اثورة واعتقل قادتها وذبحهم ، ثم
عاد الى ادفو حيث وصل حورس وطلب اليه أن يمضى ليجهز على بقية
همزيمهم ••

ولم يكن حورس قد نسي القوى السخاوية التي خلعها عليه أبوه فتشكل في
صورة قرص الشمس المجنح ، وصعد في السماء فأبصر من مكانه المشرف

بأنهم آتية يتكلمون فتأفهمهم في غضب كى يفقدهم حواسهم ، وفي
غمرة الفزع أعملوا القتل في بعضهم البعض وعد حورس بعد ذلك الى
قارب رع الذى اقترح أن يرحلوا بطريق النهر ؟ ليكونوا على مرأى من
المركة ..

وكانت المردة تسكن الأرض في تلك العصور ، وكانت ذوات قوى
معجزة ، فلما مضى رع وحورس وأصبحا على مقربة من أعدائهما ليراقبا
حركاتهم ؟ تشكل اتباع ست على صور التماسيح وأقراص البحر وخضوا
في الماء ؟ وقد أمل العدو أن يتنلب على الآلهين بهذه الصورة .

وكانت أسلحة سكان الوادى كأسلحة غيرهم من الشعوب التى على
القفرة ؟ فكانت في أول الأمر آلات حادة من الحجر ؟ كالتي تراها في
المتاحف اليوم وكان حورس أول من اكتشف استعمال الحديد فسلح أتباعه
بحراب وسهام كسيت أطرافها بهذا المعدن ، فلم يمض وقت طويل حتى
أثبتت هذه الأسلحة تفوقها وقيمتها الكبيرة .

وأبصر رجال حورس أن العدو في الماء ، فتقدموا في حملة ليهاجموا
وكان كل رجل يحمل علاوة على حرمته سلسلة طويلة من الحديد ، فكانوا
يهزون حراهم ويسددونها الى الوحوش ، ثم يكبلون ما يهيئون بالسلاسل
ويجرونه الى الشاطئ حيث يذبحونه .

ولكن بعض رجال العدو فروا الى الشمال ، فانطلق في أثرهم حورس ،
بطاردهم مطاردة عنيفة ، ووقعت بين الطرفين معارك صغيرة ، منى فيها العدو
بخسارة كبيرة وخاصة عند دندرة ، فقد انتظر حورس يوما وليلة بطولهما
حتى أبصر بأعدائه يتقدمون ، فانقض عليهم وألحق بهم قتلا وخسارة
كبيرين .

وتبع ذلك مطاردة عنيفة ، كان العدو خلالها يفر مسرعا الى الشمال
أمام الآله الذى لا يهدأ ، فلما وصلوا الى الدلتا أسرعوا الى ست وطلبوا أن
يقاتلوا تحت لوائه ؟ وكان الغضب لهذا التمرد الحادث في الجنوب يقض
مضجع المارد وكان متأهبا للسير جنوبا يقضى على هؤلاء الثوار القضا المبرم ؟
ولكن وصول فلول الجيش المنهزم أمام حورس قلب خطته رأسا على عقب ؟

فهذا عبوه القديم قد بعث من جديد في صورة ولده ، وإستقر في قلب مملكته ، ويجب عليه إذن أن يلتقي هذا الشاب الجري . ويستأصل شأبه من وجه الأرض . .

وأسرع عيون حورس اليه يبتونه أن قوة كبيرة من العدو تنتظر قدومه . فأبصر بارمال رسله في طول البلاد وعرضها يطلب من المخلصين لبيت أوزيريس أن يتجمعوا حول رابته دون إبطاء ثم ذهب ليرى أمه ايزيس في الجزيرة المسجورة قرب بوزيريس . .

وقال حورس بعد أن تبادلوا التحية الحارة : « لقد حلت ساعة الحساب » وان ست لبتظرنى ، والتجربة الكبرى على وشك أن تجرى ولست أخشى فشلا في ممركتنا ، ولكنني قد أسقط في الميدان ولهذا جئت لأقول لك الى اللقاء . . .

واحتوت الأم ولدها بين ذراعيها وكم كان متين البنيان قويا وكم كان شجاعا وكم كانت أفكاره نبيلة . . لقد كان حقا اباء وقد ولد مرة أخرى وطارت بها الذاكرة الى الأيام التي كانت فيها هي وأوزيريس صغيرين معا وقالت فجأة : « سأتى معك بإطفلى . . لاصحف على . . فساكون في أمن . . ولكنني أرب أن أرى نهاية عدوى . . »

وهكذا انطلق الاثنان الى الميدان حيث يحتشد أصحاب حورس وتساعدت صيحات عالية ترحب بمقدم القائد الشاب في حرارة . ثم انحنوا الى الأرض في خشوع حينما رأوا من تصبجه ، ولم يهبوا من انحنائهم حتى منحنهم ايزيس البركة في قتالهم المقبل .

وفي بكور اليوم التالي ظهرت قوات ست ، فلم يمهلهما حورس بل بدأ هجومه عليها وطارت المفاجأة بصواب بعض أتباع المارد ففروا رعبا ، ولكن ست حرص البقية بالكلام والضربات على دخول المعركة التي أخذت شكلا عنيفا قويا في كلا الجانبين . .

وكان القتال مخيفا وحشيا ، وكان النصر يتأرجح بين المعسكرين خائنا يميل لهذا وأنا يميل لذاك ؟ وكان يبدو في لحظة معينة أن حورس قد

ربح الجولة ؟ ولكن ذلك المارد الخفيف سرعان ما يدفع في غضب أهوج
بقوة سلاحه يدفع العدو أمامه . واستمر قتال يومين كللين ، ولكن الحال
ظلت كما هي ، لا يمكن الجيكم على تيجتها ، وعندما طلع فجر اليوم الثالث ،
واكست السماء لونا ورديا . حينما نظر إليها اله الشمس انتبخت القوتان
في قتال مميت .

واستمرت المعركة طول النهار وبدأت أشعة الغروب تسم قمم التلال
البعيدة حينما أصبح حورس وجها لوجه مع ست قتال :

« وأخيرا أيها القتال .. لقد حلت ساعة الحساب وستدفع الثمن غاليا .. »
وزمجر ست « وأخيرا .. يابن غريمى .. الآن سأذهبك وأفنيك
أنت ومن يلوزيك الى الأبد .. »

والتقى الرمحان ، والتحم السلاحان بوحشية أخذت تزداد شيئا
فشيئا ، وقد حبس الجيشان أنفاسهما ليرقا ذلك الصراع الرهيب وقدبت
عيونهما على الماردين اللذين يتبارزان وسطهما وأخذ المتبارزان يصولان
ويجولان تحت ميل من الضربات يوجهه كل منهما للآخر ، وسقط
حورس فترفع صيحات الجزع من المتفرجين . ولكنه يهب واقفا في الحال .
وقد اكتسب قوة من هذه السقطة ثم يستأنفان الهجوم ، كى يملك أحدهما
فرصة على الآخر ، وأخيرا بدا أن شباب حورس وقوته قد بدأ يظهران
على ست الذى أخذ يتخاذل ويحل به الاعياء .

وكان اله الشمس يسرع فى زورقه حتى قارب « مانو » وكان يوشك
أن يدخل وادى الدوات المظلم ، وكانت أشعته تنعكس على أسنة الرماح ، وقد
كسا نوره القمرى الميدان بالدماء ثم استقر على قمة جبل ونظر الى أسفل
ليشهد ذلك النضال الضخم ، وفى تلك اللحظة اندفع رمح حورس الطويل
الى الأمام فى سرعة تفوق البرق وأخذ ست على غرة ، وشق الرمح طريقه
خلال الدرع مخترقا إياه الى القلب ، وسقط المارد وهو يشن أنه اهترت لها
الأرض ، وتبعها صيحة فرح صدرت عن رجال حورس الأوفياء .

وتقدم الشاب يهدوء الى الأمام ، وجذب رمح من صندوق غريمه
وهو ينظر الى ذلك الوجه الشرير الملقى عند قدميه ، ولكن الشفتين لم
تبتسا ؟ ولم تفسير الملامح ؟ لأن ست كان ميتا . ولن يسوء مرة أخرى
الى أحد . . .

كتاب الحجة

كان نفر - كا - بتاح الابن الوحيد لفرعون مصر ، وقد زوجه من
الأميرة الجميلة آهورا ، وولد لهما طفل أسميا ميراب ، هكذا سجلت
أسمائهم في دار الحياة .

ورغم أن نفر - كا - بتاح كان وحيد الملك ، إلا أنه لم يوجه همه
إلا إلى المخطوطات القديمة ، التي دونها الكتبة المصريون على أوراق
البردى ، وأودعوها دار الحياة ، أو تلك الرموز المحفورة على جدران المعابد
لقد كان ينفق أيامه جميعا في دراسة ما كتبه الأقدمون .

وذات صباح قصد إلى المبد ليصلى للآلهة ، ولكنه أبصر بعض القروش
فأخذ يقرؤها ، ونسى أن يصلى للآلهة ، بل لقد نسى الآلهة جميعا ، ونسى
الكهنة وكل شيء حوله ، واستغرق في القراءة لا يحس شيئا سواها ، وبينما
هو في استغراقه ذلك ، روعته ضحكة ساخرة عريضة ، جاءت من ورائه ،
فتنظر فإذا أحد الكهنة في ثيابه البيض وقد دمت عيناه لكثرة ما ضحك
فسأله :

- « لماذا تضحك مني أيها الكاهن ؟ » فأجابه الكاهن •

- « لأنك تنفق وقتك في قراءة ما لا يفيد ، ان كنت تريد قراءة شيء
ذي قيمة فأتني أدلك على منتخب كتاب الحكمة الذي أودعه توتنخون سحرة ،
وأسرار معرفته •

وسأله نفر - كا - بتاح أسئلة متلاحقة في لهفة وشغف شديدين
فأجابه الكاهن :

- « لقد كتب توت ذلك الكتاب بيده ، وهو يحوى كل ما بالعالم من
فنون السحر ، فهو قرأت صفحته الأولى لكشف عن بصرى العطاء ورأيت
كل شيء في السموات والأرض ، وما في باطن الكهوف والبحار ، وستفهم

لثة الطير في الهواء ، وستعلم ما تقويه انزواحف في ججورها ، وسترى
الأسماك في أعماق البحار المظلمة .

واو قرأت صفحاته الثانية ، لأمكنك أن ترجع الى الدنيا في صورتك
السابقة ، بعد أن تموت وتصبح في عالم الأرواح .

وسترى بعد ذلك الشمس مشرقة ، والقمر بدرا ، والنجوم ساطعة
في السماء ، كل ذلك في آن واحد ، بل وسترى الآلهة أنفسهم في
اسماء .

وعندئذ قال نفر - كا - بتاح : « بحق حياة الفرعون ؟ سيصبح ذلك
الكتاب ملكي ، ولك أن تطلب مني ما تريد ، وعلى أن أجيب كل ما تطلب ،
فضل الكاهن : « أنفق على جنازتي ؟ واستوف من أمتي أدفن كأحد الأغنياء ؟
وحولي كهنة يرتلون ، ونسوة يسكين وتقدم القرابين للآلهة من أجل ،
ويراق الحجر المقدس ؟ وذلك حتى تسترروحي في سلام في حقول ألوا ؟
يجب أن أنفق على جنازتي مائة قطعة من الفضة . »

وسرعان ما أرسل نفر - كا - بتاح رسولا ليأتيه بالنقود ، فلما عاد
الرسول سلم الكاهن في يديه مائة قطعة من الفضة فلما تسلمها الكاهن قال
لنفر - كا - بتاح :

ان الكتاب في قفط في وسط النهر .

في وسط النهر صندوق من الحديد .

وفي صندوق الحديد صندوق من البرنز .

وفي صندوق البرنز صندوق من خشب الصندل .

وفي صندوق خشب الصندل صندوق من الأبنوس والماج .

وفي صندوق الماج والأبنوس صندوق من الفضة .

وفي صندوق الفضة صندوق من ذهب .

وفي صندوق الذهب تجد كتاب الحكمة الذي كتبه توت ومن حول

الصندوق الحديدى تسمى أطاع وعقارب وأنواع شتى من الزواحف ،
يوقف كل ذلك أقصى مهولة لا يستطيع أن يقتلها إنسان .

لقد رصدت كل هذه الزواحف لحراسة كتاب الحكمة ، الذى كبه
توت بديه .

ولم يكد الكاهن يفرغ من حديثه ، حتى خرج نفر - كا - بتاح من
المعد ، لأن فرحة كان كبيرا لدرجة أنه لم يدر أين هو ؟ وأسرع الخطى
الى زوجته آهورا ليخبرها بنأ الكتاب وليخطرها بأنه ينبغي له أن يرحل
الى قفط لساعة ، ليحصل على هذا الكتاب الفريد .

ولكن آهورا كانت حزينة جدا لهذا النبأ ، وقالت له : « اعدل عن هذه
الرحلة ، لأن المتاعب والأحزان تنتظرك فى أرض الجسوب » قالت ذلك
« ووضعت يدها على ساعد نفر - كا - بتاح ، كأنما ينبغي عليها أن تتفقه من
الحزن الذى ينتظره ، ولكنه لم يكن ممن يراجعون عن عزيمتهم بسهولة ،
فأطلق من أملمها وذهب توا الى أبيه الفرعون .

وقص على أبيه الفرعون كل ما علم وقال له : « اعطى السفينة الملكية
يا أبت ، حتى تسنى لى أن أذهب الى الجنوب ، وأحصل على كتاب الحكمة »
وسيكون معى زوجتى آهورا وولدى ميراب ، فأصدر الفرعون أوامره
فأعد البعث الملكى ، واستقبله نفر - كا - بتاح ، وزوجته آهورا وولدهما
ميراب ، وصعدت السفينة فى النهر حتى وصلت الى قفط ، فلما وصلوا
اليها خف لاستقبالهم على الشاطئ كهنة ايزيس ورئيسهم فى قفط ،
لترحبوا بالأمر الشاب وزوجته آهورا وولدهما ميراب ، وانطلقوا جميعا
فى موكب كبير الى معبد الربة وتقرب نفر - كا - بتاح الى الربة بذبج
ثور وأوزة ، وأوراق زقاق النيدج على المذبح ، تكريما لاييزيس وولدها
حورس ، ثم أقام كهنة ايزيس وزوجاتهم احتفالا كبيرا دام أربعة أيام
تكريما لنفر - كا - بتاح وزوجته آهورا .

وفى صبيحة اليوم الخامس ، دعا نفر - كا - بتاح اليه أحد كهنة
« ايزيس » الذين حذقوا فنون السحر جميعا ، وعرفوا أسرار الآلهة ، ثم

عكفوا على صنع صندوق سحري كالنواصة ، وأودعوه تماثيل رجال ومؤنة
ثم تليت تمويذة سحرية على المخلوقات الجديدة ، فذبت فيها الحياة ، وتنافس
الرجال ، وتحركوا داخل النواصة ، ثم غمر نهر - كا - بتاج النواصة
في النهر وقال : يا خدام .. يا خدام افعلوا ما أمركم به ، ثم حمل
السفينة الملكية بالرمال وأبحر على النهر وحيدا ، بينما جلست أمورا على
شاطئ النهر في قفط ، وترقب وتتظر ، لأنها كانت تحب أن التلعب
والاحزان متعقب هذه الرحلة إلى أرض الجنوب .

وغاص الرجال المسحورون بفواصتهم أياما ثلاثة بليلاتها في النهر ،
فلما توقفوا ، توقفت السفينة الملكية عن السير ، وأدرك نهر - كا - بتاج
أنه وصل إلى المكان الذي فيه كتب الحكمة .

والقى نهر - كا - بتاج بحمولة السفينة من الرمال في النهر صائلا
سدين ، وبين السدين كان فراغ طوله خمسون ذراعا وعرضه خمسون
ذراعا ، وفي وسط ذلك الفراغ كان الصندوق ملقى ، وإلى جواره التفت
أفقى مهولة على نفسها ، تلك الأفقى التي قال الكاهن أنها لا يمكن أن
يقتلها إنسان ، وأحاط بالصندوق من كل جانب أفاع وعقارب ، وأنواع
شتى من الزواحف .

ووقف نهر - كا - بتاج في مقدمة السفينة الملكية ، وصاح عبر المياه
في الأفقى والعقارب وشتى الزواحف صيحة عالية مربعة ، وتلا عليها
تمويذة سحرية ، فلما انتهت التمويذة جمدت الأفقى والعقارب وشتى
الزواحف في أماكنها ، لأنها سحرت بكلمات نهر - كا - بتاج ، فلم تستطع
خراكا ، وتحرك نهر - كا - بتاج حتى حاذى حافة الفراغ ، ثم نزل من
سفينة ، وسار بين الأفقى والعقارب وشتى الزواحف ، وكانت كلها مفتحة
العيون ، تنظر إليه وتراء ، ولكنها لا تستطيع الحركة فقد أثرت
التمويذة عليها .

وأصبح نهر - كا - بتاج وجها لوجه مع الأفقى التي لا يستطيع أن
يقتلها إنسان ورفعت الأفقى رأسها وتراجعت قليلا إلى الوراء - استمدادا

للمعركة القادمة ؟ و هجم عليها فربها - كا - بتاج وقض رأسها عن الجسد
ولكن سرعان ما التصق بالجسم بالرأس مرة أخرى ، وعادت الأفعى التي
لا يمكن أن يقتلها إنسان إلى الحياة مرة أخرى واستعدت لمواصلة القتال ،
وهجم عليها فربها - كا - بتاج مرة ثانية ؛ وضربها ضربة قوية ؛ أطاحت
برأس بيذا عن الجسد ؛ ولكن سرعان ما انضم الجسد للرأس إلى بعضهما البعض
وعادت الأفعى التي لا يمكن أن يقتلها إنسان إلى الحياة مرة أخرى ، واستعدت
لاستئناف الصراع ، وأدرك فربها - كا - بتاج أن الأفعى خائفة ، ولا يمكن
ذبحها والقضاء عليها إلا بالحيلة ، فعاود الهجوم عليها للمرة الثالثة ، وشرطها
نصفين ، وذر الرمال على مكان القطع ، حتى إذا ما حاول الصفان الاتصال
ثانية ، لم يتمكن من ذلك لوجود رمل يفصل بينهما ، وهكذا ارتدت الأفعى
التي لا يستطيع أن يقتلها إنسان ، عدية الحيلة بين يديه .

ثم تقدم فربها - كا - بتاج إلى الصندوق الكبير حيث هو ملقى في
انقراغ وسط البحري وكانت الأفعى والمقارب وشبي الزواحف ترقبه ،
ولكنها لا تستطيع منعه ، وفتح الصندوق الحديدي فوجد صندوقاً برونزياً ،
وفي الصندوق البرونزي وجد صندوقاً من خشب الصندل . وفي صندوق
خشب الصندل وجد صندوقاً من الأبنوس والمانج ، وفي الصندوق الأخير
وجد صندوقاً من الفضة ، وفي صندوق الفضة وجد صندوقاً من الذهب ،
وفي الصندوق الذهبي وجد كتاب الحكمة الذي كتبه توت يديه . . .

وفتح فربها - كا - بتاج الكتاب وقرأ الصفحة الأولى فكتشف عن بصره
الغطاء ، أطلع على ما في السموات والأرض ، وما في باطن السككوف
والبحار . وفهم منطق الطير في الهواء ، وعلم بما يقوله الزواحف في
ججورها ، ورأى الأسماك في أعماق البحار المظلمة .

وقرأ الصفحة الثانية ، فرأى الشمس مشرقة ، والقمر يدور ، والنجوم
ساطعة في السماء ؛ وكل ذلك في ان واحد ؛ بل ورأى الآلهة أنفسهم
في السماء .

وعندئذ أدرك فربها - كا - بتاج أن ما قاله الكاهن كان صحيحاً وذكر

أن زوجته آهورا تنتظره على الشاطئ ، عند قفط ، فلا تروى سحرية على
الخداع الذين صنعهم . قائلا : « يا خدام يا خدام نغذوا ما أمركم به ؟ واهجموا
بى الى المكان الذى جئت منه » .

وجد الرجال السحورون ليلا ونهارا فى الرخيل ، حتى وصلوا الى قفط
حيث تجلت آهورا على ضفة النهر ، وكانت قد صامت عن الطعام والشراب
منذ رحل عنها نفر - كا - بتاح لأنها كانت ترقب الحزن والتساعب التى
توشك أن تنزل بهم جميعا .

ولكنها حينما رأت نفر - كا - بتاح عاثدا اليهم فى سقيته الملكية ،
رقص قلبها فرحاً وأقبل عليها نفر - كا - بتاح فوضع بين يديها كتاب
الحكمة ، وطلب منها أن تقرأ فيه ، فعندما قرأت الصفحة الأولى ، كشف
عن بصرها الظلام ، وأطلعت على ما فى السموات والأرض ، وما فى باطن
الكهوف والبحار ، وفهمت منطق الطير فى الهواء ، وعلمت بما تقوله
الزواحف فى جحورها ، ورأت الأسماك فى أعماق البحار المظلمة .

ولما قرأت الصفحة الثانية ، رأت الشمس مشرقة ، والقمر يدرأ ،
والنجوم ساطعة فى السماء ، كل ذلك فى آن واحد ، بل ورأت الآلهة
أنفسهم فى السماء .

ودعا نفر - كا - بتاح بقطعة نظيفة من البردى ، وكوب من الجعة ثم
كتب كل التعاويذ التى يحتوى عليها كتاب الحكمة ، ثم تناول كوب الجعة ،
وغسل فيه رمة البردى حتى انمجت الكتابة تماما وعادت ورقة البردى
نظيفة كما كانت ، ثم جرع الكوب حتى الثمالة ، وهكذا حفظ كل التعاويذ
التي كان الكتاب يحتوينا عن ظهر قلب ، وهذه هى الطريقة التى يتبعها
كبار السحرة .

ثم ذهب نفر - كا - بتاح وآهورا الى معبد ايزيس ، وقدا اقرايين
اليها والى ولدها حورس وأقما احتفالا كبيرا ، وفى اليوم التالى صيدا الى
ظهر السفينة الملكية ، وأبحرا مسرورين على النهر متجهين صوب الشمال
تدفع شراعهما بريح رخاء .

ولكن انتظر... لقد اكتشفتمون ضياع كتابه الحبيب وكتاب الحكمة.
فأمر غاضباً كالقط البرى المتوحش الذى يقطن الجنوب ، وأسرع الى رع
كبير الآلهة ، وقص عليه القصة قائلاً :

« ان نفر - كا - بتاج قد عثر على صندوق المسحور وفتحه وسرق
كتابي ... حتى كتاب الحكمة يسرقونه ؟ » لقد ذبح الحراس الذين
يحيطون بالصندوق ، والأفنى اتى لا يستطيع قتلها انسان قد خلفها عديمة
الحيلة ، فانتقم لى يا رع من نفر - كا - بتاج بن فرعون ... »

وأجاب رع ذو الجلال قائلاً : « خذ هو وزوجته وابنيهما ، وافعل
بهم جميعاً ما تشاء » .

وهكذا فإن المتاعب والأحزان التى تنبأت بها آمورا كانت على وشك
الوقوع ، لأن توت قد حصل على اذن من رع ، بأن يجرى قضاءه فيمن
سرق كتاب الحكمة .

وبينا السفينة الملكية مبحرة شمالاً فى هدوء ورخاء ، خرج الصبى
ميراب من تحت المظلة ، وتقدم حتى بلغ حافة السفينة ، وأخذ يحرق فى
الماء فاجتذبه قوة رع ، فسقط فى الماء وغرق لساعته وعند ما سقط فى الماء
صرخ الملاحون فى السفينة ، وصاح الملاة على انشاشطى . ولكنهم لم
يستطيعوا انقاذه جميعاً ...

وخرج نفر - كا - بتاج من القمرة ، وقرأ تعويذة سحرية على الماء ،
فطفت جثة ميراب على السطح فانتشلوها ومدوها على ظهر السفينة ، وقرأ
نفر - كا - بتاج تعويذة أخرى بلغ من قوتها أن الطفل الميت تكلم ، وأخبر
نفر - كا - بتاج بكل ما حدث بين الآلهة وأن توت يعمل على الانتقام ،
وأن رع قد منحه قوته ليستخدمها ضد سارق كتاب الحكمة .

وأصدر نفر - كا - بتاج أوامره فاتجهت السفينة الى قطب مرة ثانية
حتى يدفن الصبى ميراب بالاحتفال اللائق بابن أحد الأمراء ولما انتهت
مراسيم الاحتفال بدفنه ، أبحرت السفينة مرة أخرى صوب أرض الشمال

وقد فقدت الرحلة بهجتها بعد أن مات ميراب وقد أثقلت الهموم قلب آهورا
انتظارا للأحزان والمتاعب المقبلة ، لأن انتقام توت لم يته بعد ...

ووصلت السفينة الى المكان الذى غرق فيه ميراب ، فخرجت آهورا
من تحت المظلة ، وقدمت الى حافة السفينة وأطلت فى الماء فاجتذبتها قوة
رع فسقطت فى الماء ، وغرقت لساعتها ؛ وعندما سقطت أبصر بها ملاجو
السفينة ، وأبصر بها المارة على الضفة ؛ ولكنهم جميعا لم يستطيعوا
إنقاذها .

وخرج نفر - كا - بتاح من القمرة وتلا تعويذة سحرية على الماء ،
فطفت جثة آهورا على سطح الماء ، فانتشلها الملاحون . ومددوها على سطح
السفينة ؛ وتلا نفر - كا - بتاح تعويذة أخرى بلغ من قوتها أن الجسد الميت
تكلم ، فأخبره بما دار بين الآلهة . وبأن توت لا يزال يجسرى وراه
الانتقام ، لأن رع قد منحه قوته ليستخدمها ضد سارق كتب الحكمة .

وأصدر نفر - كا - بتاح أوامره فمادت السفينة أدراجها الى قط
حتى تدفن آهورا بالاحتفال اللائق بابنة ملك ، ولما انتهت مراسم الدفن ؛
أبحرت السفينة الملكية مرة أخرى ضوياً أرض الشمال ؛ وبألها من رحلة
مقبضة حزينة هذه المرة ... فقد مات آهورا ومات ميراب ، ومع ذلك
فلا يزال توت يريد الانتقام ...

ووصلت السفينة الى المكان الذى غرق فيه ميراب وغرقت فيه آهورا ،
فأنحس نفر - كا - بتاح بأن قوة رع تجذبه ، وكان متأكداً من أنها
مستغلب عليه رغم مقاومته لها ، فتناول قطعة من نسيج الكتان الملوكى ؛ جيدة
متينة ؛ وضع منها نطاقاً ، وربط بها كتاب الحكمة الى صدره لأنه صمم على
ألا يحصل توت على كتابه مرة أخرى .

وعندئذ جذبه القوة الخفية بشدة هذه المرة ؛ فوجد نفسه يخرج
من تحت المظلة ، ثم ألقي بنفسه فى النهر ؛ ففرق لساعته ؛ وعند ما سقط
فى النهر أبصره الملاحون فى السفينة والمارة على الضفة ولكنهم لم
يستطيعوا إنقاذه جميعاً ، وعندما جثوا عن جثته لم يشروا عليها .

وهكذا أبحرت السفينة الملكية شمالاً حتى وصلت الى أرض الشمال
وألقت مراسيها فى ممفيس ، وذهب ربابها الى الفرعون وأخبره بكل
ما حدث ...

ولبس الملك ثياب الحداد ، وكذلك رجال البلاط ؛ والكاهن الأكبر
وسائر كهنة ممفيس ، ورجال الجيش لبسوا جميعاً ثياب الحداد ؛ ثم سار
الجمع فى موكب حزين الى المرفأ ؛ حيث ترسو السفينة الملكية ، وعندما
وصلوا اليها أبصروا بجثة نفر - كا - بتاح طافية بقرب السفينة ، بجوار
المجاديف الكبرى ، ولقد حدثت هذه المعجزة نتيجة لقوة نفر - كا - بتاح
السحرية ، فقد ظل ساحراً عظيماً حتى فى مماته ؛ لأنه قد أذاب التماويذ
فى كوب الجعة وشربها .

واتشلت الجثة فأبصروا بكتاب الحكمة مربوطاً الى صدره ، ينطق
من الكتان وأصدر الملك أمره أن يدفن نفر - كا - بتاح بالاحتفال
اللائق بأبن ملك ، وأن يدفن معه كتاب الحكمة .
وهكذا تحقق انتقام توت ... ولكن كتاب الحكمة ظل مع نفر
- كا - بتاح ...

الخزير الأسود

(م ٧ - أساطير فرعونية)

اننى أعلم لماذا أطلق اسم حورس على مدينة يى ؟ وسأقص عليكم
نبأها ... كفى الدماء والكراهية مستحكين بين حورس اله الحصب ؟
وست اله النسر الذى ذبح أباه أوزيريس وشره أمه ايزيس ، وكان بينهما
عراك وصراع ، وكلما تقدم القتال ازداد شدة وعنف ؛ ولم ينحز النصر
إلى جانب من الجانبين ؛ رغم ان الآلهة كانوا يؤيدون حورس .

وكان ست شديد المكر والدهاء ، يحلّو التغلب على خصمه بالمكر
والخدعة ، لا بالشجاعة والمهارة فى القتال ؛ وكانت لديه القدرة على
التشكل بأى شكل يريد ؛ فلا يستطيع مرفقه اسنان ولا اله ؛ هذه
قدرة ست ... أما قدرة حورس فكانت من نوع آخر لأن الحق والعدل
يتيمان لحورس ، أما الغش والخدعة فلا يمتان اليه بصلة أو سبب ؛ وكان
من خصائص حورس أن من ينظر فى عينيه الزرقاوين الصافيتين ، يرى
المستقبل منبكسا على حقيقتهما . ولذلك كان البشر والآلهة على السواء ،
يتجهون الى حورس حينما يريدون علم المستقبل المنيب .

وقد وصل الى علم ست أن رع ميتشور مع حورس وهذه - فيما
يعتقد - فرصته المواتية ليصيب مقتلا من حورس ، ولذلك تشكل فى صورة
خنزير أسود ، فكان منظره وهيا حقا ، وقد كثر عن أنيابه الطويلة الحادة
واكسى بلون السحاب المرعد ، كانت نظراته متوحشة خبيثة تلقى الرعب
فى قلوب الناس .

وأقبل رع ذو الجلال على حفيده حورس وتحدث اليه قائلا : دعى
أنظر فى عينيك الصافيتين لأرى ما سيجى به المستقبل ، وحدث فى عيني
حورس وكان لونهما كلون المياه الخضراء المنسطة عندما تنعكس عليها
سهماء الصيف الصافية ؛ وبينما هو ينظر فى عيني حورس اذا بالخنزير
الأسود يمر .

ولم يعرف رع أن ذلك الخنزير الأسود ؟ لم يكن إلا ذلك الآلهة الشرير
فصاح في حورس : أنظر الى ذلك الخنزير الأسود .. أتتى لم أترك خنزيرا
بهذه الضخامة ؟ أو بهذه الوحشية ، ونظر حورس ولكنه لم يعرف سبب
بهذه الصورة الغريبة ، وظن أنه خنزير برى من الخنازير التى تهلل غابات
التيمال ، وهكذا ظل بلا حرس ولا حماية من عدوه الغادر !

وعندئذ توجه ست قدفة من النار الى عين حورس ، فصرخ حورس
من شدة الألم الذى أحدثته النيران ؟ فصاح غاضبا : انه ست وقد
قدفتى فى عيني بالنيران ، ولكن ست سرعان ما اختفى ؟ ولم ير الخنزير
الأسود مرة أخرى .

وحلت لعنة رع بالخنزير بسبب ست فقال : • ليكن الخنزير قربانا
لحورس ، • والى يومنا هذا يضجى الناس بالخنزير اذا كان القمر بدرا ؛
لأن ست عدو حورس . وقاتل أوزيريس اتخذ صورته ليصيب الآلهة ذا الثيون
الزرق ولهذا السبب يعتبر رعاة الخنازير فى مصر منبوذين ملوثين ؛ محرما
عليهم دخول المعابد وتقديم القرابين للآلهة ، ولا يتزوج أبناؤهم أو بناتهم
من أبناء الشعب الإطهار .

ولما شفت عينا حورس ، منحه رع مدينة بى ؟ وجعل له أخوين
مقدسين فى مدينة بى ؟ وأخوين مقدسين فى مدينة نخن ؟ حتى يكون له
قضاة على الدوام ، وعند ذلك طابت نفس حورس وعازده فرحه القديم
وعندما فرح حورس اخضرت الأرض ؟ وأخرجت طبياتها ؟ وانفتحت
السحب الداكنة ؟ وطابت الحياة ..

عَالَمُ الْمَرْعَى

رع ذو الجلال ، هو الذى خلق السموات والارض ، وخلق الآلهة والناس أجمعين ، وخلق النبات والحيوان ، وخلق النصارى الموقدة ؛ وخلق الروح ونفخها فى الأحياء ؛ ثم استوى على العرش وتولى بنفسه حكم العالم ؛ آلهته وأحيائه على السواء .

وطللا أهرت ايزيس مظاهر قوته وجبروته ؛ تلك القدرة التى تطوى الأرض والسماء ، والتى ينحنى أمامها الآلهة والناس ؛ وطللسا تمتت فى قرادة نفسها أن توهب تلك القدرة حتى تصبح أعظم من الآلهة ، وتسيطر على الناس أجمعين .

ولم تكن هناك طريقة واحدة للحصول على هذه القوة ، فإن رع انما يحكم العالم بقوة اسمه ، ولا يعرف هذا الاسم الغامض سواء ، ومن يستطيع أن يعرف سر ذلك الاسم سواء كان بشرا أو الها ، يستطيع السيطرة على العالم وقد يستطيع السيطرة على رع نفسه ؛ وكان رع يحتفظ بسر اسمه لنفسه ؛ ولا يوح به لأحد محافظة منه على قوته وسطوته .

وكل صباح كان رع يخرج فى موكب الحالد ؛ من الأفق الشرقى عابرا السماء ، وفى كل مساء كان موكب يحق فى طيات الأفق الغربى حيث ينير ظلمات العالم السفلى ، عالم الدوات وقد ظل رع يقوم بهذه الرحلة ملايين السنين حتى دبت اليه الشيخوخة وتقدمت به السن فكان لا يستطيع أن يضم فكبه ، أو يقفل فمه ، فكان لعابه يسيل على الأرض .

وتناولت ايزيس حفنة من التراب ؛ ومزجتها بلعاب رع ؛ وصنعت من ذلك قطعة من العطين جعلتها على صورة ثعبان مجنح ؛ من تلك التظليلين المقدسة التى توج رموس الآلهة ، وتزين تيجان ملوك مصر ؛ ولم تقرأ على ذلك الثعبان تعاويذها ورقاها ، لأن الثعبان كانت الحياة تجرى فيه من لعاب رع نفسه ثم أخذت الثعبان وأخفته على طريق موكب رع ؛

ذلك الطريق الذى يسلكه كل يوم فى رحلته من الأفق الشرقى الى الأفق الغربى عبر السماء

وفى الصباح استأنف موكب ربح رحلته الحالدة ، متجها الى الأفق الغربى حيث مدخل عالم الظلام السفلى ، لينير الظلام الدامس وعندما مر ربح بالأقوى ؛ أثبتت فيه أنبياءه ؛ وأفرغت فيه من السم نارا اشتعل لها جسده الذابل .

وصرخ ربح فتجاوبت السموات صرخته ، ورجعها الأفق الشرقى والأفق الغربى ، وانحدرت الصرخة المقدسة الى الأرض حتى سمعها الآلهة والناس أجمعون .

وقال له الآلهة الذين يتبعون موكبه : « ماذا جرى لك ؟ » ماذا جرى لك ؟ ... ولكن ربح لم يجب بكلمة واحدة ؛ وأخذت أطرافه المقدسة ترتعد ألما ؛ وأسنانه تصطك ؛ ولكنه لم يفه بكلمة ، لأن السم سرى فى جسده الآلهى كما تسرى مياه النيل فى الأرض الجافة فى زمن الفيضان

وعندما هدأ قلبا دعا اليه من يتبع موكبه من الآلهة وقال : « تعالوا الى ... أتم يا من خلقتكم بقدرتى ، لقد أوديت أذى بالغا ، أحسه ولكننى لا أعلم مآله ولم تخلقه يداى هاتان ، ولا أعلم من أوجده . »

أبدا لم أحس بمثل هذا الألم من قبل ... أبدا ... وليس هناك أصابة أبلغ من هذه أبدا ؛ من الذى يستطيع اينائى ؟؟ ان أحدا لا يعرف سر اسمى ، ذلك السم الذى منحنيه أبى وأمى ؛ وأودعاني آياه بحيث لا يؤثر فيه شجر ؛ ولا يعرفه مخلوق .

لقد خرجت لألقى نظرة على العالم الذى خلقته ؛ وقد مرت على الأرض حينما لدغنى شيء لا أعرفه ؛ أمى نارا أم جليد اتنى أحرق ... اتنى أرتش ... ان أطرافى كلهما ترتعد ؛ نادوا لى أطفال الآلهة الذين يبيدهم الشفاء ، أولئك الذين يتقنون فنون السحر ، وتصل قوتهم الى السماء ... ؟

وعندئذ أقبل الآلهة وهم يكونون ويولولون ، لأن
جدهم كانت عديمة الجدوى حيال ذلك الثعبان ؛ لأن المادة المقدسة دخلت
جسده ؛ وأقبلت مع الآلهة ايزيس ؛ الشافية ؛ مبدية السحر ؛ التي في
فمها تريق الحياة ، التي تطرد كلماتها المرض ؛ وتوقف الموتى •

وقد تحدثت ايزيس الى برج قائلة : • ما هذا ؟ • ما ذا جرى أيتها
الأب المقدس • ؟ هل لدغك ثعبان شرير • ؟ هل دفعت مخلوقاتك رأسها
خبيدك • ؟ أنظر • • ان مسحى سبطك ذلك السم ؛ اننى سأطرده
ببركتك • •

وعند ذلك أجاب برج : • لقد مرت عبر البحر المألوف ؛ وبرزت
على الأرض عندما لدغني ثعبان لم أراه ؛ وأشب أنيابه في جسمي ؛
هل كان سمه ناراً أم جليداً ؟ اننى أبرد من الجليد ؛ اننى أشد حرارة من
النار ؛ ان أطرافى لترتعد ؛ والعرق يتصب على جيني ؛ كما يتصب على
جبة البشر تحت حرارة الشمس المشرقة ؛ في الصيف القاسي • •

وتكلمت ايزيس مرة أخرى ؛ وكان صوتها في هذه المرة منخفضاً
لطيفاً • • قل لي سر اسمك أيتها الأب القوى ؛ اسمك الحقيقي ؛ اسمك
السري انماض ؛ لأن الحياة كتبت لمن ينادى باسمه فقط • • وعندئذ أجاب
رع : • • أنا خالق السموات والأرض ، أنا مرسى الجبال ؛ أنا خالق البحار ؛
أنا خالق أسرار الأفق ؛ أنا النور والظلام ؛ أنا خالق الساعات والأيام ؛
أنا فاتح الأعياد ؛ أنا مجرى الأنهار ؛ أنا خالق اللهب ؛ أنا خير في الصباح
ورع عند الظهيرة ؛ وآتمو عند ما يحل المساء • • ولكن ايزيس قأبت تلك
الكلمات كلها بالصمت والهدوء ؛ ولم تفوه بكلمة ما ؛ لأنها كانت تعلم أن
رع قال لها الأسماء التي يعرفها الجميع ؛ أما اسمه الحقيقي اسمه السري
المقدس ؛ فقد كان لا يزال مطويًا في صدره •

وسرى السم في جسده ؛ وأخذ يجري في عروقه كالسنة اللهب
الملتدة •

وبعد فترة من الصمت ؛ تكلمت ايزيس مرة أخرى : • أريد اسمك

•• ان اسمك الحقيقي ؛ اسمك السرى لم يكن بين تلك الأسماء ؛ قل لى
على اسمك حتى أطرده السم خارج جسدك ؛ لأننى أشفى بسحرى من
أعرف اسمه الحقيقي •

وأخذ السم ينتشر فى جسده ؛ فيحس بالنسار تسرى فى أعضائه
وأصبح قارب الشمس فارغاً ؛ وكذلك عرش الآله صار خواء ؛ لأن رع
خبأ نفسه من أتباعه والذين خلقهم يديه •• !!

وعندما انتقل الاسم من قلب رع الى قلب ايزيس ؛ تكلمت الربة الى
رع قائلة عاهدنى يارع على أن تعطى عينيك لحورس وما عينا رع الا الشمس
والقمر ويدعوها للنس بعينى حورس حتى اليوم •

وهكذا انتقل اسم رع من قلبه فأصبح ملكا لايزيس ؛ وعندئذ صاحت
بكلمة السر فأطاع السم ؛ وشفى رع بقوة اسمه •

وايزيس العظيمة سيدة الآلهة ؛ سيدة السحر ؛ ان فى يديها
الشفاء ؛ وفى فمها ترياق الحياة ؛ وبكلماتها ينمحي الألم ؛ وبهوتها تبيد
الحياة الى من مات •

جغته هليو بوليس

كان رع يحكم الوجهين ؛ وكان ثلثي سلوك مصر ؛ وقد شمل السلام البلاد ثلثي عهده ، وقد زادت المحاصيل وعمت البركة والحير كل الأقاليم حتى ان الناس يتحدثون الى اليوم عن البركة التي حلت بالبلاد فى عهد رع .

ولقد خلق رع نفسه بقدرته ؛ ثم خلق السموات والأرض ؛ ثم خلق الآلهة والبشر ؛ ثم حكم أولئك جميعا .

ولقد ظل آلاف السنين يحكم ماخلق ؛ حتى دبت الشيبوخة الى جسده الألهى ؛ ولم يعد الناس يخافونه كما كانوا فى الماضى ؛ بل وكانوا يضحكون ويتمازجون اذ مر بهم قائلين : « أنظروا الى رع ؛ إنه أصبح شيخا ؛ ان عظامه أصبحت ترن كالفضة ؛ وقد تصلب لحمه فأصبح كالذهب ، وأصبح شعره فى ذرقة اللأزورد » .

وأخذ رع يستشعر المهانة كلما استمع الى همسهم الخبيث ؛ وأوحى ضحكهم المستهتر ؛ وذات يوم دعا اليه الآلهة الذين يخفون بموكبه وصاح فيهم : « إثنونى بايتى ، وقررة عيى ، ونادوا الآلهة شو ؛ وتقنوت ؛ وجب ؛ ونوت ؛ والاله العظيم نون ؛ الذى يسكن نهر المجرة وسط السماء ؛ نفذوا أوامرى سرا حتى لا يسمع الناس أو يروا شيئا مما يحدث وحتى لا يخافوا فيختبئوا .

وفى السر ذهب الرسل ؛ وانطلقوا فى هدوء يبلغون الرسالة الى الأرباب ؛ وقد أقبل الأرباب فى الخفاء ؛ لم يشعر بانتقالهم أحد ؛ حتى وصلوا الى قصر رع العظيم فى غمته السرى ؛ فلم يحس الناس بكل ما حدث ؛ فاستمروا فى تمازجهم وضحكهم ؛ وهم لا يعلمون بالمقاب الزادع الذى يوشك أن يحل بهم .

ونحط بالعرش الأرباب والرباب ؛ المقلبون من شتى الجهات ؛ وانحوا

فى خشوع أمام رع ٤ حتى مست جباههم الأرض قائلين : « مرنا نطملك
أيها الآله العظيم ؟ »

وعندئذ قال رع لنون العظيم ٤ الذى يقطن نهر المجرة وسط السماء
« أيها الآله العظيم يا أكبر الآلهة سنا ٤ يامن نسل منك الجميع .. »
أنظر الى الناس الذين خلقتهم من عدم .. أنظر كيف يسخرون منى ٤
ويهزأون بى ٤ ماذا أصنع بهم .. ؟ قل لى ؟ اننى قررت ألا أذبهم قبل
أن أستشيرك فى ذلك وأسمع رأيك ، ٤

وأجلب الآله العظيم نون الذى يقطن نهر المجرة وسط السماء :
« رع .. يابنى .. يا أكبر الآلهة يا أقوى الملوك ٤ أسرع بموكبك الحالد ٤
وليلح تخضبك على العالم ٤ أرسل اليهم ابنتك وقررة عينك سخمت ٤ حتى
لا تدع منهم حيا ،

وتكلم رع ثانية فقال : « انظر .. انهم سيفرون الى الصحارى
والجبال ٤ ويخشون أنفسهم اذا شعروا بالخوف نتيجة سخرتهم وضحكهم ؟
ولن يستطع أحد أن يجدهم فى الصحارى والجبال .. »

وقالت الأرباب والربات مجتمعين ، وقد أخنوا جباههم أمام رع :
« أرسل عليهم ابنتك وقررة عينك .. أرسل عليهم سخمت .. »

وعندئذ أقبلت ابنة رع ، التى يسمونها سخمت ، لبوة ممليس
ويسمونها هاتور ، أشرس الريات على الاطلاق ، تقضض على فرستها
كالأسد .. التذبيح مسرتها المثلى ، ومتعتها فى حب الدماء ..

وانطلقت سخمت استجابة لرغبة أيها ، الى أرض الشمال
وأرض الجنوب ، لتذبح الثائرين على أيها رع ، فأحالت ثورتهم
الى سخرية وأضحوة للعالمين ، ولقد ذبحتهم جميعا فى أرض تامرى
وكذلك على الجبال المستقلية شرق النهر العظيم وغربه ، وأخذت
تضرب هنا وهناك ، فتذبح كل من يعترض طريقها ، وأمامها تهر
جموع الخارجين والثائرين ..

وأطلق رع من عليائه على الأرض ، فراخته تلك الأنهار من الدماء

فصاح بابته : « كفى .. كفى يا ابنتى .. وليحل السلام بإهاتور
ألم تنتهى بعد مما أمرتك به ؟ »

فضحكت هاتور كما تضحك اللبوة ، وهى تب من دم الترسية
وصاحت : « بحق حياتك يارع .. اننى أقفد قضاءك فى الناس ،
وقلبى بذلك سعيد » .

وجرى النهر أحمر قائبا علة أيام ، والربة المتوحشة تب من
دماء الناس ، وقد تخضبت أقدامها بالدماء ، وهى تسير فى أرض
مصر حتى وصلت الى هنن - نى - سوت ..

وأطل رع من عليائه على الأرض مرة أخرى فامتلا قلبه شفقة
ورثاء للبشر ، الذين ابتلعتهم يده ، رغم أنهم سخرؤا منه وتضاحكوا
عليه ؛ ولكن أحدا لا يستطيع أن يوقف الربة المتعطشة للدماء ضد
حد ، حتى رع نفسه ، ولن تتوقف عن تذيب الناس حتى تروى
غلتها ، فالآلهة والناس لا يستطيعون لها دفعا ، ولن تتوقف الا
بالخدعة والدهاء .

وأصدر رع أوامره قائلا : « الى بالرسل الخفاف الذين يسرعون
كالريح العاصف » فلما أن حضروا اليه قال لهم : « اذهبوا الى
جزيرة فيلة ... أسرعوا ... عجلوا .. واحضروا الى الشار التى
تجلب النوم ... أسرعوا وعجلوا ، فينبغى أن تكون الشار هنا قبل
فجر الفد .. » .

وأسرع الرسل بسرعة كسرعة الريح العاصفة حتى بلغوا جزيرة
فيلة ، حيث مياه النهر العاتى تتكسر على صخور الشلال فى عنف
وهدير ، وأحضروا الثمرة التى تجلب النوم ، ثم قدموها لرع ،
وكانت الثمرة حمراء قرمزية ، وكان عصيرها فى لون دم البشر ،
وحملها الرسل الى هليوبوليس مدينة رع .

وجرش نسوة هليوبوليس الشمير وصنعوا منه البجة ، ومزجوا
عصير الثمرة المنومة بالبجة ، فأصبح لون البجة كالدّم النجيم ،

وصنعوا منها سبعة آلاف مكبال ، وأخمروها في عجلة ، لأن الليل
يوشك أن ينقضى ، وقد لاحت ملاحم الفجر .

وأقبل رع ، وفي موكبة الأرياب والريات ، ليفحصوا الجعة
المصنوعة ، وقد وجدها زغ في لون دم الانسان ، فقال : « انها
جعة جيدة ، بهذا سأحمي البشر من القناء » .

وعندما أشرق الفجر أصدر أمره : « احملوا هذه الجعة الى
حيث المذبحون من الرجال والنساء ، وصبوها في الحقول قبل أن
يتفشع الظلام » .

وصبوا الجعة على الحقول ففمرتها جميعا ، حتى بلغ مستواها ارتفاع
أربع مخلات بأسقام . . . وكان لونها كالدم النجيع .

وفي الصباح أقبلت سحخت المتوحشة وهي على أتم استعداد
لتعمل الذبح والتقتيل ، وبينما هي متقدمة أخذت تتلفت هنا وهناك
لعلها أن ترى فريسة تفتتح بها يومها ، ولكنها لم تر شيئا
وأبصرت بالحقول التي تغمرها الجعة بلون الدماء ، فكشرت عن
أنيابها وضحكت كما تزار اللبوة الشرسة ، وقد ظنت أن تلك الدماء
الجارية من صنعها ، وأنها قد سفكتها جميعا ، فانتشت طربا ، ومالت
على الجعة وأخذت تشرب . . . ! أخذت تشرب وتشرب . . . ! وكلما
أمنعت في الشرب أمنعت في الضحك ؛ لأن النشوة لعبت برأسها ؛
وبدأ مفعول الثمرة يجلب النوم اليها ، فلم تعد تستطيع التذيع
والتقتيل .

وناداهما رع اليه قائلا : « تعالى يا جميلتي » فأقبلت اليه سكرى
تتشر ، وهكذا أقنذ رع البشر من القناء ، وحماهم من غضب
الربة المتوحشة . . .

بلاد الليل والظلام الدامس

عند ما خلق العالم ، خلق به نهران ، نهر مصر ونهر السماء ، وكان النيل — نهر مصر — عظيما ، كان ينبع من الجنوب من خلف الشلال ، وفيض على أرض مصر ، فيجلب الخير والبركة والمحاصيل الى أرض تا — مري ، وكان نهر السماء عظيما جبارا يجرى عبر السماء وخلال الدوات ، عالم الليل والظلام الدامس ، وعلى هذا النهر كان قارب رع يسير واسمه قارب ملايين السنين ، ولكن الناس يدعونه قارب مائت اذا كان الفجر ، عندما يشرق رع في جلال على الأفق الشرقي للسماء ، ويدعونه قارب مسيكت اذا كان المساء ، عندما ينحدر رع في جلال الى ظلمات الدوات ، حيث يشمخ جبل ماتو بقمته الى السماء الغربية ، فلي الأفق الغربي يبدو للناظر جبل مانو ، وعلى الأفق الشرقي يبدو جبل باخو ، وكلاهما ضخيم رهيب ، فأصلهما راس على الارض ، وعلى قمتهما تستقر السماء •

وعلى أقصى قمة جبل باخو يعيش ثمان طوله ثلاثون ذراعا ، وقد رقط جلده بالبازلت الاسود والمعادن البراقة ، وهو يحرس الجبل ، والمياه الخضراء المترامية ، ولا يستطيع أن يمر به الا رع في قاربه الخالد •

وعندما يحل المساء ينحدر رع في جلال الى الأفق الغربي ، ويفرب في ظلمات الدوات عند ثغرة أيدوس ، وكم هو جميل قارب مسيكت عند المساء ، انه مزيج من الألوان الرائعة البديعة مزيج من القرمز والارجوان ، واللازورد والذهب الخالص الجليل •

وعند ثغرة أيدوس تقف جمهرة من الآلهة في انتظار قارب رع ، ليعدوه لرحلته خلال ظلمات الدوات ، أرض الليل والظلام الدامس ، وهناك يتعرق القارب من حلاه ، ويمر خلال الدوات عاريا من الجلال بسيطا ، وفيه يرقد جسد رع ميتا قد فارقت الحياة •

ويمسك الآلهة بالحبال ، ويجرون القارب على صفحة النهر
الحزين ، ويتسع النهر رويدا رويدا ... وتحتل ربات الليل
الاثنتا عشرة أماكنهن ، حيث يقطن القارب خلال الظلمات ، لأنهن قباطنة
النهر ولا أحد غيرهن يعرف مجاهل الدوات حتى رع نفسه .

وأول مملكة من ممالك الدوات بلاد الليل والظلام الدامس هي
نهر رع ، وكم هي حزينة تلك المملكة ، وإن لم يكن ظلامها دامسا ،
لأن النهر في هذه المنطقة تحيط به أفاع ست على كل من ضفتيه ،
وقد التفت حول نفسها وتكومت وشرعت رءوسها ، وقد
اندلعت من أفواهها ألسنة اللهب ، وفي قمرة القارب يرقد رع
ميتا لاهياة فيه ...

وفي مقدمة القارب يقف آب - نوت فاتح الطرق ، وصار به
الساعة الاولى ، وحول القمرية يقف بعض الآلهة ، أولئك هم حماة رع
وحراسه من الارواح الشريرة ، ومن هجمات أييب عدوه اللدود
في بلاد الدوات ، بلاد الظلمات .

ويمضي قارب رع ويبدأ خلال الدوات ، الى بلاد الظلام
الدامس بلاد الرعب والقزع حيث يسكن الموتى ، وحيث يرقد أييب
في انتظار مقدم رع ، وهكذا تنقضي أول ساعة من الليل .

وعند حدود كل مملكة من ممالك الدوات بوابة عالية الأسوار
لا يمكن أن يتسلقها انسان ، وقد رشقت في أعلى الأسوار رءوس
الحراب مدية حادة ، أما الباب فمن الخشب ، وهو يدور على محور
وتقوم على حراسته أفعى مهولة ، فلا تسمح لأحد بالدخول الا أولئك
الذين تعرف أسمائهم ، وعند منحنى الممر ، ثعبانان كبيران مجنحان ،
ينفثان لهيبا ممتزجا بالسم ، أحدهما من أعلى الباب والآخر من
أسفله ، فيتقابل لسانان من اللهب المسموم عبر الممر ، الذي يقف في
نهايته حارس يقط .

وربة الساعة الاولى تفتح الطريق أمام ربة الساعة الثانية ،

وسرعان ماتسمع الابواب ، ويفتقى ذلك اللهب المسموم ، ويمر قارب
رع في سلام ..

أما المملكة الثانية من ممالك الدوات ، فهي أو - نس ، وإن
كان أهل الشمال وجزر المياه الخضراء يدعونها أورافوس ، وهناك
يتسع النهر ويحمل على مياهه القاتمة أربعة روامس ، ليس لها
مجاديف ولا ساريات ، ولكنها طاقة على النهر ، يحملها التيار كما
يشاء ، وهي روامس غريبة حقاً لأنها تحمل أطيافاً كثيرة ، لها أشكال
الرجال ، وفي هذه المملكة ينتشر سلطان رع ، فهو الملك والسيد ،
ويصا سكانها في سلام ، لأن أحداً لا يستطيع أن يخترق تلك البوابات
التي يقرها اللهب المسموم ، ويقف عليها حراس أشداء .

نعم سعداء ... أولئك الذين يعيشون في مملكة أو - نس ،
لأن أرواح القمح تعيش بها ، ففيها نبرا ، وتيبو - ين ، الآلهة التي
تصنع القمح والشعير وتبارك المحصول فتزيد الحيرات والثمرات .

ويمضي قارب رع ويبدأ خلال الدوات ، إلى بلاد الظلام
الدامس ، بلاد الرعب والفرع ، حيث يسكن الموتى ، وحيث يرقد
أييب في انتظار مقدم رع ، هكذا تنقضي الساعة الثانية من الليل ،
وربة الساعة الثانية تفتح الطريق أمام ربة الساعة الثالثة ، وسرعان
ماتسمع الابواب ، ويمر قارب رع في سلام ..

أما المملكة الثالثة من ممالك الدوات فهي نهر الاله الواحد ،
وهنا « أمنت الجميلة ، مملكة أوزيريس ، وعلى ضفتي النهر تماثيل
للآلهة ، وهي تحيط بأوزيريس ، وقد اكتسب أوزيريس مهابة وجلالا ،
يليقان بملك عادل ، وقد توج رأسه بتاج الجنوب الأبيض ، وتاج
الشمال الأحمر .

كم هو عظيم أوزيريس اله الموتى ، لأن كل من يموت يقف
أمامه للحساب ، حيث توزن قلوب الموتى في الميزان ، فتوضع في
كفة ، وفي الكفة الأخرى ريشة الحق ، أما عرشه فقد استوى على

ماء غدير عميق رقراق ، وقد نبتت على سطح الغدير زهرة لوتس وحيدة لونها كالسما في البكور ، وعلى زهرة اللوتس يقف أطفال حورس الاربعة ، الذين يعاونون أوزيريس في الحساب ، ويحفظون أجساد الموتى ، ولهم الشرق والغرب والشمال والجنوب تحميم الرباب الأربع العظيمات ، وهم يقفون على زهرة اللوتس ووجوههم الى أوزيريس ، وأولهم له وجه انسان ، والثاني له وجه قرد ، والثالث له وجه ابن آوى ، والرابع له وجه طائر جارح وهذه هي الساعة التي يخشاها الاشرار ، لانهم يؤخذون بما قدمت أيديهم ، ولا منقذ لهم ولا معين .

وقلب الشرير ثقيل بما يحمل من وذر ، ولذلك فهو يغطس في الماء ويظل يهوى الى القاع حتى يصل الى فكي أمت أكل القلوب ، وعندئذ يساق الشرير الى ظلمات الدوات ليعيش مع أيب الكريه ، وليقذف به بعد ذلك في حفرة من النار .

ولكن هناك أيضا المؤمنون المحسنون ، الذين لم يلحقوا أذى بانسان ، وأءنوا الأياني ، ورعوا اليتامى والمساكين ، وقدموا الطعام للجانين ، وكسوا العراة ، أولئك الذين لم يقرقروا اثما ولم يسيئوا الى انسان ، عندما يقبل أولئك على أوزيريس . ويضع قلوبهم في كفة ميزانه ، تجد قلوبهم أخف من ريشة الحق ، فتهبط كفة الريشة ، وتشيل كفة القلب المؤمن ، وعندئذ يتناول توت المزدوج العظيمة ذلك القلب ، ويودعه صدر صاحبه ، ثم يتناول حورس يده ويقوده الى ظل عرش أوزيريس حيث يعيش في مملكته الى ابد الأبد ، وعندئذ فقط يستطيع أن يرى أوزيريس ، لان ارواح الموتى لا تستطيع رؤية الآلهة طالما هي تسكن الجسد ، وتعرض للافعالات ، وعندما تحرر من هذه القيود ، ثم تنطلق في تلك العوالم الطاهرة ، عوالم الدار الآخرة ، وعندئذ يصبح ذلك الاله ملكهم وسيدهم يستمدون عليه ويجتلون طلعه ، ويستمتعون بذلك الجمال الذي لا يستطيع تصويره انسان .

ويمضى قارب رع ويُيدا خلال الدوات الى بلاد الظلام الدامس
بلاد الرعب والفرع ، حيث يرقد أيب الكره في انتظار مقدم رع ،
وحيث حفر النار تمد للأشرار ، وهكذا تنقضى الساعة الثالثة من
الليل ، وتفتح ربة الساعة الثالثة الطريق أمام ربة الساعة الرابعة ،
فتسح الابواب ، ويمر قارب رع في سلام .

أما المملكة الرابعة من ممالك الدوات فهي « رى - ستاو » أو
فوهة المقبرة ، والمملكة يخيم عليها الخراب ، فهي صحراء لا نهاية
لها ، ورمال جائعة يراقة ، لانبات فيها ولا حياة عليها سوى بعض
الثماين الضخمة ، تتلوى رائحة غادية ، تفح فحيحا مخيفا ، وتشر
أجنحتها ، وتندفع كأنها في سباق رهيب ، ولكن غضبها ليس موجها
الى رع ، فهو يمر بينها آمنا سالما ، والنهر في هذه البقعة تائه ضال
بين الصخور والرمال ، ومجره عميق ضيق يحده حائطان من الصخر
الشديد الانحدار ، الذى تصفحه الريح فتتن لمباته ، ولاوزير
الكلمة على هذه الصحراء فمن يمر بها آمن سالم ، لاخوف عليه ،
وفي هذا المجرى الضيق لا يستطيع قارب رع أن يواصل الرحيل ،
ولذلك فهو يتحول الى أفعى هائلة قوة ، عند مقدمته رأس أفعى
شرسة متيقظة ، وعند المؤخرة رأس أفعى ذات أنياب ميتة السم ،
وتنسب تلك الافعى على الرمال كما ينساب القارب على صفحة
النهر .

ويمضى قارب رع ويُيدا خلال الدوات الى بلاد الظلام الدامس
بلاد الرعب والفرع ، الى حيث يربض أيب في انتظار مقدم رع ،
وهكذا تنقضى الساعة الرابعة من الليل ، وتفتح ربة الساعة المتقضية
الطريق أمام ربة الساعة الخامسة ، فتسح الابواب ويمر قارب رع
في سلام .

أما المملكة الخامسة من ممالك الدوات فهي المختمة ، حيث
يسكن سوكلو الاله الصقر رب المدفونين ؟ وهو يقيم فج جحر عميق
في باطن الارض ، ويقوم فوق الجحر تل من الرمال ويحرس مسكنه

أبو الهول عن يمين وعن شمال ، لكل منهما جسم أسد ووجه رجل ومخالبهما بارزة كالحيوانات المفترسة حين تتحضر للهجوم ، وفيما بينهما تربض أفعى مثلك الرعوس ، وبين جناحيها يقف سوكار ، وله جسم انسان ورأس صقر ، وهو شرس وقوى كالصقر ، وعقباه شديد على أولئك الذين يعصونه ، وقرب مسكنه بحيرة يلقى ماؤها كأن تحتها موقدا ، وفي البحيرة الملتمة يلقى بالعصاة ، الذين يصرخون مستجدين برع عندما يمر بهم القارب ، ولكن رع يرقد في القارب ميتا في انتظار خبيرا ، ولن يجيب على صراخهم أحد ، طالما القارب يواصل المسير .

وعلى الضفة الاخرى من الاخدود يقوم صرح عال مهده ، هو دار الليل والظلام ، وعلى كل جانب من جانبيه طائر ، ويتلوى حواليه ثعبان مزدوج الرأس ، وهو رافع الرأسين يفح ويهدر . وهو متحضر للهجوم على من يحاول دخول البناء ، وكم هو حارس أمين ، لأن خبيرا روح العالم العظيمة ، تسكن دار الليل والظلام . خبيرا الهة البعث ، تظل في انتظار رع على صورة جعران ، ويرفرف على القارب عندما يصل ، ويظل طائرا فوقه حتى يحين موعد اعادة الحياة الى الاله الميت .

ومن خلال الظلام الدامس ، ينحدر على المجرى الضيق شعاع من النور ، وتلك هي نجمة الصباح تنتظر عند البوابة لتقود القارب الى الأمام ، "لأن ظلام الليل يعنى اقتراب حلول اليوم الجديد .

ويمضي قارب رع وثيدا خلال اللوات ، الى بلاد الظلام الدامس ، بلاد الرعب والفسزع الى حيث يرقد أيبب الكره في انتظار مقدم رع .

وهكذا تنقضى الساعة الخامسة من الليل ، وتهتح ربة الساعة المنصرمة الطريق أمام الساعة الجديدة فتتسع الابواب ويمر قارب رع في سلام .

أما المملكة السادسة من ممالك الدوات ، فهي « نبع المياه »
ويحكمها أوزيريس الاله العظيم ، وحاكم مدينة دادو ، الاله الحى ،
خالق الناس والماشية ، اله الخضرة الذى ينحى أمامه الناس جميعا
فى اجلال وتهديس •

ويتخلص النهر من الرمال مرة ثانية ، ويعاود القارب السير
على النهر مرة أخرى ، ويشيع السرور بين ركابه ، لان ساعات الليل
أوشكت أن تنقضى ، وعلى ضفتى النهر تماثيل للالهة ، غامضة
عجيبة ، وهناك سبعة صولجانات وأسد قوى ، يزأر فى الظلام ،
ويكاد لا يرى الا على الضوء الضئيل الذى يشعه زورق رع ، وهناك
أيضا ثلاثة كنوز يحرس كلا منها ثعبان ينبعث من فمه اللهب ، وتلك
الكنوز تحوى أشياء غريبة حقاً ، ففى أحدها رأس انسان وفى الثانية
جناح طائر ، وفى الثالثة زجل أسد ، وهناك أيضا تعيش الافعى ذات
الرءوس الخمسة ، وبين طياتها يرقد خييرا ، اله البعث وعلى رأسه
يضع الجمران ، وعند قدميه رمز اللحم ، وهكذا يبعث الحياة فى
الموتى ، وهكذا سيرد الحياة الى رع ، فهذه أبعد حدود الدوات ،
وخلف البوابة يمتد الطريق الى شروق الشمس •

ويمضى قارب رع ويبدأ خلال الدوات الى بلاد الظلام الدامس ،
بلاد الرعب والفرع حيث يرقد أيب الكريه ، فى انتظار مقدم رع ،
وهكذا تنقضى الساعة السادسة من الليل ، وتفتح ربتها الطريق أمام
الساعة السابعة ، وتسمع الابواب ويمر قارب رع فى سلام •

أما المملكة السابعة من ممالك الدوات فهي الكهف السرى ،
وهى مليئة بالالاخطار والشرور ، لانه أيب الكريه يعيش فى هذه
المملكة وهو على شكل أفعى هائلة فاعرة فاها ، تبتلع كل ما يأتى به
النهر من ماء ، فقد يتحطم قارب رع ، ثم يفنى رع بعد ذلك ، وعندئذ
تسيطر على العالم قوى الظلام والشر ، وتنتصر على الآلهة •

ولكن ايزيس تهف فى مقدمة القارب ، ايزيس التى لا يستطيع

أحد أن يقاوم سحرها ، ايزيس أعظم الربات على الإطلاق ، و يدين لها العالم بالحب والولاء ، تقف مادة ذراعيها مرتلة كلمات القوة ، فيعبر غنائزها المقدس ذلك النهر القاتم ، ويلتف الثعبان «مهن» حول جسد رع ، لان ساعة الخطر قد حلت ..

وعلى لسان رملى وسط المجرى يرقد أييب ، وطول هذا اللسان أربعمائة وخمسون ذراعا ولفات أييب تغطيه حتى لا يظهر منه شيء الا النهر يجرى من حوله ، ويهدر أييب ويجمر ، فتردد أركان الدوات زمجرتها الشبيهة بالرعد ، ولكن ايزيس لا تهتز لكل ذلك ولا ينقطع ترتيلها ، ولا تتوقف حركات يديها السحرية وكلما استمرت فى ترتيلها وتلاوة تماويذها .. رقد أييب على الرمال لا يستطيع حراكا ، وعندئذ تنقر سلك ، وهو - وسوف من قارب رع ويوقاته بالبحال ، ثم يطعمانه بالمدى محاولين القضاء عليه . ولكن أييب خالد لا يموت ، وفى كل ليلة يقبع فى انتظار قارب رع ليعتك به ، ويمسك به سلك ، وهو - وسوف حتى يمر القارب ويعبر الضفاف الرملية ، وهو يقاوم ويبتعد أن يحل وثاقه ، ولكن البحال قوية ، والمدى حادة فاذة ، وتنهب جهوده أدراج الرياح .

ويمضى القارب قدما الى مدافن الآلهة ، التى تقع بجوار النهر ، تلالا عالية من الرمال ؟ وعلى كل تل بناء ؟ وعند نهاية كل تل رأس رجل ترقب مرور رع .

ويمضى قارب رع ويبدأ هادئا خلال الدوات ؟ سائرا خلال الظلام ، الى الشروق والنهار الجديد ، وهكذا تنقضى الساعة السابعة من الليل ، وتفتح ربتها الطريق أمام ربة الساعة الثامنة ، ويمر قارب رع فى سلام .

أما الملكة الثامنة من ممالك الدوات ، فهى بشوى الآلهة ، حيث يقيم الموتى من الآلهة ، فهم يرقدون هناك فى مشواهم الاخير ، محنطين وملفوفين فى لفات الكتان ، كما يحنط الناس ويلقون ،

وعندما يمر بهم رع يحيونه في اجلال ، ولكن أين هو من سماع صوتهم ؟؟ انهم عنه بعيدون ، ولا يسمع لهم الا هديرا وغنمة ، كخوار الثيران التوحشة ، أو صراخ الطيور الجارحة ؟ أو عويل النافحات ، أو طنين النحل في خليته ، وأمام القارب يسير تسعة من الآلهة ، أشكالهم غريبة ، غامضة عجيبة ، لا يشبهها شيء على الارض ، ويتقدم هؤلاء أرواح تاتان الأربعة ، على شكل كباش كبيرة متوحشة ، قرونها متسعة مدية ، وقد توج أولها بريشة طويلة وتوج الثاني بتاج الشمال الأحمر ، والثالث بتاج الجنوب الأبيض ، أما الرابع فقد توج بقرص الشمس ، وكم هو قديم في مغميس تاتان ، حيث يقع مشوى بتاج جنوب السور .

ويبقى قارب رع وتيدا هادئا ويسير خلال الظلمات ، الى الشروق والنهار الجديد ، وهكذا تنقضي الساعة الثامنة فتفتح ربتها الطريق أمام الساعة التاسعة ، فتتسع الابواب ويمر قارب رع في سلام .

أما المملكة التاسعة من ممالك الدوات فهي « عالم صور » ، وهنا يجري النهر عنيقا قويا ، ويندفع القارب بسرعة مع التيار ، تحرسه اثنا عشر من آلهة النجوم ، وفي أيديها مجاديف قصار ، وهي على أتم استعداد لمساعدة سيدها عند الحاجة .

ولا يغمر الظلام هذه المملكة ، لان اثني عشر ثعبانا كبيرا تلتف على نفسها على ضفتي النهر ، وينبعث من أفواهها ألسة من اللهب تثير صفحة السماء وأنحاء الدوات ، ويطلق على النهر روامس ثلاثة غريبة الشكل ، فهي لاتشبه القوارب المألوفة ، وحمولتها أقرب من شكلها ، فهي محملة بأطياف تشبه البقر والكباش ، ولها أرواح الناس ، وهؤلاء هم الذين تهدم لأرواحهم القرايين في الدار الأولى ، وتدفع ربات النجوم في غناء لطيف ، وتردد الأرواح غناها ، ويستمر الجميع في الغناء حتى يعبروا ذلك الممر الطويل ، في تمجيد رع ، رب القارب ، وخالق السموات والارض .

ويستمر قارب رع سائرا في هدوء خلال الدوات ، راحلا الى حيث الشروق ، والنهار الواضح الجديد ، وهكذا تنقضي الساعة الثالثة من الليل ؟ وتفتح ربتها الطريق أمام الساعة التالية ؟ فيمر قارب زرع في سلام ..

أما المملكة العاشرة من ممالك الدوات ، فهي نبع المياه والشلوط الرقيقة ، وحاكمها هو رع وسكان المملكة يهرعون للقاء ملكهم ، عندما يمر على النهر الدفاق ، وهنا نجد المجرى عميقا متحدرا والقارب يندفع بعنف مع التيار ، والحراس مسلحين بأسلحة براق ، وعلى استعداد لحماية ملكهم ، وعلى وجوههم نور كنور الشمس ، وعلى الشاطئ ربات أربع يبعثن بأشعة من نور ، تبدد الظلام أمام موكب رع على النهر الخالد .

وأمام قارب رع تسير نجمة الصبح ، على شكل ثعبان مزدوج الرأس، يسمى على قدميه ، وعلى رأسه تاجا الشمال والجنوب ، وبين طياته يقف صقر السماء العظيم ، وهو سيد السماء ، لأن نجوم السماء تتبعه ، ولكن الناس يسمونه همسر ، ولو سافر أيضا ، وفي رمس على النهر ثعبان كبير ، هو روح الأرض ، وهو يراقب أعداء رع في جنبات الدوات .

وهذه أكبر ممالك الدوات لأن خييرا يمزج نفسه برع ، في مملكة الغوض والعجائب هذه ، ويخلق رع من جديد ، ويظل جسد رع مسجى في القارب ، بينما روحه قد اتحدت بروح خييرا .

ويمضي قارب رع قدما خلال الظلمات ، الى الشروق والنهار الواضح الجديد ، وهكذا تنقضي الساعة العاشرة من ساعات الليل فتفتح ربتها الطريق أمام الساعة التالية ، فيمر قارب رع في سلام .
أما المملكة الحادية عشرة من ممالك الدوات فهي « فوهة الكهف » وحاكمها رع ، وهنا يجري النهر هادئا منخفضا ، وهنا حيث

التيار منعدم ، يجر الآلهة القارب ، وهم لا يجرونه بالجمال ، ولكن بجسد الثعبان منهن ، حامى رع ، وفي مقدمة القارب نجمة نارية ، ولكن ضوءها ليس في حمرة الضوء الذى يغير هذه المملكة ، فهي حمرة مخيفة مرعبة ، تبث الرهبة فى القلوب ، والأشجار يخشون هذه المملكة ، لأن عقابهم ينتظرهم هناك ، فهنا وهناك خفر من النار ، ويحرس الخفر ربات تنفسهن نيران ، ويمسكن بأيديهن سيوفاً من النيران ، وهن يقطن الأشجار بأسلحتهن ، ثم يرمين بأشلائهم فى النار حتى تحترق ، وهنا يقف حورس ليرى أشلاءهم ، لأنهم أعداء أوزيريس ورع ، انهم مقترفو الاثم وناشرو الفساد على الارض ، عصاة الآلهة ، ولا منقذ لهم من ذلك العذاب ، ولا فرار من النار ، وبئس القرار ، ويعقب جو الدوات برائحة هذه الأجساد المحترقة ودخانها .

وعلى الضفة البعيدة من النهر النجوم .. فهناك «شдо» .. على هيئة ثعبان أحمر قرمى اللون .. والنجوم التى يتكون منها جسده عشرة عدا .. وهناك كائن غريب أيضا .. يبدو كثعبان مجنح .. ولكن له ساقين .. وبين جناحيه طيف انسان .. ويسميه الناس آتمو .. ساكن هليوبوليس .. وهو قديم .. بل أقدم من رع نفسه .. وهو الذى يبعث بنسيم الشمال الرطب الى أرض مصر .. وحوله تبدو عينا حورس .. لقد بدأت آفاس الصباح الرطبة تنبعث .. وفى طياتها يقترب النهار الوليد .

ويمضى قارب رع خلال الظلمات .. الى الشروق والنهار الواضح الجديد .. وهكذا تنقضى الساعة الحادية عشرة .. وتفتح ربها الطريق أمام الساعة التالية .. ويمضى قارب رع فى سلام .

أما المملكة الثانية عشرة من ممالك الدوات فهي « ولى الظلام وأقبل النور » وعلى مقدمة القارب ذلك الجمران الكبير « خييرا » متأهب ليرد الحياة الى رع قبل أن يصل الى حدود الدوات .. وليست هذه المملكة كسابقتها .. لأنها منطوية فى جوف ثعبان كبير

ضخم .. اسمه حياة الآلهة .. وفي هذا الفراغ الواسع يسافر قارب
ملايين السنين •

ويجر القارب اثنا عشر من أتباع رع بعد أن يربطوه بالجبال ،
وفي جوف الأفعى يتحول رع الى خبيرا ويحيا مرة ثانية ، لأن
الرحلة خلال الدوات أوشكت على الانتهاء ، وعند فم الأفعى تقف
اثنتا عشرة ربة يسلمن الجبال ، ويجردن القارب الى الأفق الشرقي
للسماء ، ويخرج جسد رع الميت من القارب كما يقذف غشاء الحبة
بعد نمو النبات ، لأن روح رع وحياته في جعران خبيرا ، وقد تم
البعث ويخرج قارب رع من تيه الدوات بين الغناء والبهجة والفرح •

كم هو فاخر قارب مازت وهو يجد نحو الشروق ، وتفتح
الأبواب ، أبواب السموات على مصاريعها ويطلع النهار ، ومن بين
الأعمدة المرمية يخرج قارب رع • ويغرر النور جبل باخو •
ويستقبل الثبان الضخم حارس المياه الخضراء رع بابتهاج على
الأفق الشرقي والأشعة تنسكب على مخالبه •

كم هو رائع قارب مازت المولود على النهر ، وعندما يلتصق في
وضح النهار ، وفي الزبد عند مقدمة القارب تمرح سمكة « آتو »
وترى سمكة « آنت » تسبح في المياه الخضراء ، ومن الأرض تتصاعد
الصلوات والدعوات لأن جميع المخلوقات تمجد رع عند الشروق •

وتباركت يارع عند ما تشرق ... فقد ولي الليل والظلام ،
وعند فجر اليوم تشرق وتمتلئ السموات بنورك .. أنت كبير
الآلهة ، لك المجد والنصر ... ان الآلهة يترامون عند قدميك
كالكلاب ويتسابقون لتحيتك عند الفجر

تباركت يارع عند ما تشرق .. فعند شروقك يشيع السرور
في الناس ، لأنك تحكم العالم ، يا من تمجدك النجوم في السماء ،
ويقندسك آلهة الأرض .. يارب السموات ..

تباركت يارع عندما تشرق ... فلا يستطيع أحد أن يصف

مجدك ... يارب الحكمة والحق ، ان ارواح الشرق تنتظر ، وأرواح
الغرب عبيدك وخدامك ، ويقدمك الشمال والجنوب ...
لك التقديس يا سيدنا ... يامن خلقتنا ... فانك تشرق في
أفق السماء ، فتسبب للناس الحياة ...
لك المجد يارع عندما تشرق
لك المجد عندما تشرق في جمال يارع ...
مراجعة : الشناوى



١٥٧ شارع عبید - روض الفرج
تلیفون ٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤ - ٤١٠١٢ - ٤٥٣٤٦

